الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح - ورقلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي





أسلوب الحكيم في القرآن الكريم

دراسة بلاغية وأسلوبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي
تخصص : البلاغة والأسلوبية

من إعداد الطالب :
علي زواري أحمد

إشراف الأستاذ :
أ . د : أحمد بلخضر

السّنة الجامعية :1434 - 1435 هـ / 2013 – 2014 م

المقدمة

إن دراسة الأساليب القرآنية من خدمة كتاب الله ، وتجلية أوجه العظمة فيه، بإبراز معانيه ، وتجلية مقاصده ، والوقوف على أسراره ، وجوانب إعجازه ، ومعرفة المنهج القويم والأساليب المثلى التي سلكها في تلقي المخاطَبين . فهو معين لا ينضب ، وكنز لا يفنى ، ورغم كل الدراسات فيه بمختلف توجهاتها ؛ إلا أن الغوص لا يزال مستمرا في أساليبه للكشف عن هذا الجمال المعجز .

ولا يخفى على عارف أن القرآن الكريم قد استخدم العديد من الأساليب بغية التأثير في السامعين للوصول إلى أهدافه وتحقيق غاياته ، من ذلك : أسلوب التكرار ، وأسلوب التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والاستفهام والالتفات... ومنها أسلوب الحكيم .

وللوقوف على هذا الأسلوب لابد من فك الإشكال المتمثل في وضعية هذا الأسلوب في النص القرآني ودراسته من الجانب الأسلوبي والبلاغي ، لذا كان عنوان دراستنا في هذه الرسالة موسوم بـ: "**أسلوب الحكيم في القرآن الكريم** (دراسة بلاغية وأسلوبية)" .

وقد كانت بداياته حين أشار له أبو عثمان الجاحظ (255 هـ) في كتابه "البيان والتبيين" ، وذلك عند حديثه عن "اللغز في الجواب" ، وأول من خصه بالحديث وقعد له ، وحدد مصطلحه بوضوح أبو يعقوب السكاكي (626 هـ) في كتابه "مفتاح العلوم" ، فسماه "الأسلوب الحكيم".

وأفرده ابن كمال باشا برسالة خاصة كان هدفه من ذلك هو ترتيبه والتفريق بينه وبين ما يشابهه من بعض الأساليب البلاغية الأخرى ، وقد قام محمد بن علي الصامل بتحقيق هذه الرسالة ، ومن خلالها كتب بحثا فيه ليقدمه لطلبته ، وقد نشرهما في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد 15 ، شعبان 1416هـ ، تحت عنوان: "الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية".

وآخر ما وقفت عليه في دراسة الموضوع رسالة لهيبة بن قو ، تحت عنوان : "أسلوب الحكيم بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف" وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأسلوبية والبلاغة، السنة الجامعية : 1427 . 1428 هـ / 2006 . 2007 م، جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان.

وحتى نجلي الإشكال المطروح فإنه يحتاج منّا إلى إجابات للوصول إلى الهدف المرسوم، وذلك ما جعلنا نلتمس خطة مناسبة له ، وقد تمثلت هذه الخطة في :

مقدمة والتي نحن بصددها . ثم تبعناها بمدخل : وفيه يتم التعرض لأمرين اثنين هما :

1 . الأسلوب الحكيم من حيث النشأة والتسمية وواقعه في الدراسات العربية.

2 . الأسلوب القرآني من حيث جمالية التعبير ودقة التصوير وقوة التأثير.

وقسمناه بعد ذلك لفصلين اثنين ، تمحور الحديث في الفصل الأول عن : مفهومه وأنواعه وأغراضه في الدرس البلاغي العربي . وقد اشتمل على ثلاثة مباحث أساسية ، هي :

. المبحث الأول يتعلق بالحديث عن : مفهومه .

. والمبحث الثاني يتعلق بالحديث عن : أنواعه .

. والمبحث الثالث كان للحديث عن : أغراضه .

وأما الفصل الثاني فقد تمحور الحديث فيه حول : أنواعه وأغراضه وظواهره الأسلوبية في القرآن الكريم . وقد اشتمل . هو أيضا . على ثلاثة مباحث أساسية :

. المبحث الأول كان للحديث عن : أنواعه .

. و المبحث الثاني للحديث عن : أغراضه وقيمتها البلاغية .

. والمبحث الثالث يدور حول : ظواهره وقيمتها الأسلوبية .

وبعد ختام الفصلين ندرج جدولا يلخص كل آيات أسلوب الحكيم الواردة في البحث . ويشتمل هذا الجدول على ذكر الآية ورقمها وسورتها ، ثم بيان أسلوب الحكيم فيها ، مع التطرق لنوعه ، وغرضه .

وفي النهاية وكما هو المعتاد في كل بحث علمي لابد من خاتمة تتضمن ملخصا عن أهم الأفكار التي قدمت في البحث وأشير إليها فيه ، وأهم النتائج المتوصل إليها . ثم نضع بعدها قائمة المصادر والمراجع ونختم بالفهرس .

وقد كان المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي مع الاستعانة بالمنهج التاريخي في رصد وتتبع نشأة وتطور هذا الفن ، واعتماد آلية التحليل التي تبين المادة وتفسرها وتوضحها وتصنفها في مواضعها كما هي في الخطة ، والاستقراء الذي يتتبع المادة في مواضعها من القرآن الكريم فيجمعها لتكون مادة للدراسة .

وقد تم الاعتماد على العديد من المصادر والمراجع ، والتي من أهمها: بعض كتب البلاغة ومنها، مفتاح العلوم : ليوسف بن أبي بكر السكاكي أبو يعقوب ، والإيضاح في علوم البلاغة ، والتلخيص في علوم البلاغة ، وكلاهما : لجلال الدين القزويني ، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، وكتاب علم المعاني والبيان والبديع : لعبد العزيز عتيق ، وغيرها .

وتم الاعتماد على بعض كتب التفسير ، ومن أهمها كتاب روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، وكتاب التحرير والتنوير المسمى «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» : لمحمد الطاهر بن عاشور ، وغيرهما .

وهناك بعض المراجع الأخرى منها ، كتاب خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: لمحمد محمد أبو موسى ، والبلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق : لمحمد بركات حمدي أبو علي ، ومجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، محمد بن علي الصامل ، مقال : "الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية" العدد 15 ، شعبان 1416هـ . وغيرها من المصادر والمراجع المثبتة في آخر هذا البحث .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه لم تواجهنا أي صعوبة ذات بال حتى نذكرها ، إلا ما يواجه أيّ باحث علمي في طريق البحث والتقصي وجمع المعلومات والمراجع ورصد الحقائق والسهر وتحمل المشاق من كتابة وقراءة وترتيب وتنظيم وتفكير ومراجعة وغيرها .

وللإشارة فإن هناك العديد من الدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع ، من ذلك :

أولا ـ الرغبة الذاتية المتمثلة في الميل النفسي والشخصي بحكم وظيفتي الحالية (الإمامة) ، لعليّ أحظى بشرف خدمة كتاب الله ، ولو بهذا الجهد المتواضع ، من خلال هذا الموضوع .

ثانيا ـ الموضوع يجمع بين نوعي التخصص (البلاغة والأسلوبية) ؛ فهو من جهة موضوع بلاغي يدخل ضمن فنون البديع ، ومن جهة فن من أفنان الأساليب الكلامية ، وهذا من صميم الدراسة الأسلوبية .

ثالثا ـ ومن الدوافع أني أحببت من البداية أن لا يخرج موضوعي عن مجال البديع ،لأنه لا يزال يحتاج للدراسة والتمحيص والتأصيل والتقعيد مقارنة بعلم المعاني وعلم البيان ، وجُل موضوعاته ـ في نظري ـ لا تزال مادة خاما تصلح أن تكون مجال بحوث علمية .

رابعا ـ كما أني رأيت محدودية الدراسة البلاغية في هذا الموضوع ، وإن كانت ثمة دراسات بلاغية فهي مكررة وقليلة من حيث المادة ، ومحصورة في بعض الأوجه فقط المتمثلة في (تعريفه اصطلاحا وأنواعه) وذلك قصد بيانه والإشارة إليه دون التطرق للعديد من جوانبه الأخرى ، رغم كثرة استعماله في أوجه الحياة المختلفة ، ولذا فالموضوع باق على حاله منذ أن قعَّد له السكاكي ، وهذا ما دفعني لاختياره ليكون محل دراستي لطرق بعض المحاور التي لم تدرس بعد.

خامسا ـ ومن الدوافع القوية ندرة الدراسات الأسلوبية فيه ، وهذا ما يجعل الموضوع جديدا من هذه الناحية ، فشجعني ذلك على اختياره ، قصد دراسة الأسلوب ذاته وبيان قيمته لا مجرد تحليله أسلوبيا ، كما هو معروف في تحليل المستويات .

وفي الأخير أتقدم بالشكر للأستاذ الفاضل أحمد موساوي الذي أعانني في إحضار رسالة "أسلوب الحكيم بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف" من جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان ، وقد كنت بحاجة إليها لمعرفة ما فيها ، لأن موضوعها يتعلق ببحثي ، وبذلك خفف عني عبء التنقل في إحضارها فله مني جزيل الشكر .

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان ، ووافر التقدير والعرفان ، لأستاذي الفاضل "أحمد بلخضر" الذي أشرف على هذه الرسالة من بدايتها وهي لا تزال فكرة لم تتبلور بعد ، إلى أن خرجت للعيان وأصبحت شجرة ممتدة الأغصان ، على هذه الصورة التي بين أيدينا ؛ حيث لم يبخل عليّ بتوجيهاته القيّمة وأرائه السديدة ، وإشاراته النيرة المنبثقة عن خبرة وحكمة وتجربة ، فأضاءت لي الطريق ، وأنارت ليّ السبل ، كما تعلمت منه الدقّة والحرص والانضباط ، فجزاه الله كل خير عني وعن خدمة العلم وأهله ، ومد له في عمره مع وافر الصحة والمعافاة .

مدخل

1 – الأسلوب الحكيم

أ – النشأة .

ب – التسمية .

ج – واقعه في الدراسات العربية.

2 – الأسلوب القرآني

أ – جمالية التعبير.

ب – دقة التصوير.

ج – قوة التأثير.

1 – الأسلوب الحكيم

في البداية نستهل بحثنا بهذا المدخل الذي يتضمن أولا الحديث عن نشأة أسلوب الحكيم وتسميته، وما دار حولهما من كلام في كتب البلاغة ، وكذا الحديث عن الدراسات السابقة التي أقيمت حول الموضوع ، وذلك من أجل رفع الغموض عن العناصر المكونة لموضوع البحث.

أ – النشأة :

يعد أسلوب الحكيم عند البلاغيين ضرب من ضروب البلاغة العربية، وقد تعرض له الأولون في بداياته في مجال علم المعاني ضمن مواضيع (خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر)[1] ، ثم لما بدأ يتميز علم البديع بموضوعاته عن غيره ، وبدأ التنقيب والبحث في استخراج فنونه وضمها إليه ؛ أصبح أسلوب الحكيم نوعا من أنواع (المحسنات المعنوية)[2] في هذا العلم . وهو كغيره من الموضوعات والفنون يبدأ صغيرا ثم يكبر ، ويمر في طريق نشأته بالعديد من المراحل والأطوار حتى يستقر على صياغته النهائية التي تجعله مستقلا ومتميزا عن غيره .

وقد كانت (بداياته حين أشار له أبو عثمان الجاحظ)[3] (255 هـ) في كتابه "البيان والتبيين" ، وذلك عند حديثه عن "اللغز في الجواب"[4] ومثل له بإشارات تتناسب وبداياته ، ومن غير أن يسميه ، كما نجده أشار إليه في "باب من الكلام المحذوف ثم نرجع بعد ذلك إلى الكلام الأول"

---

1 . انظر يوسف بن أبي بكر السكاكي ، أبو يعقوب (ت : 626هـ) : مفتاح العلوم ، ضبط وتعليق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط : 2 ، 1407 هـ – 1987 م .ص: 327.

2 . انظر أحمد حسن المراغي : علم البديع ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط : 1 سنة 1411 . 1991 ، ص 106 . وعبد العزيز عتيق : علم المعاني والبيان والبديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص : 601 . ورفيق خليل عطوي : صناعة الكتابة (علم البيان ، علم المعاني ، علم البديع) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط : 1 ، سنة 1989 ، ص : 127 .

3 . انظر أحمد عبد المطلب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ص : 119 . وأحمد حسن المراغي : علم البديع ، ص 106 .

4 . عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ ، أبو عثمان (ت: 255هـ) : البيان والتبيين ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، سنة : 1423 هـ ، ص : 2/ 100 .

عند حديثه عن "كلام يذهب السامع منه إلى معاني أهله وإلى قصد صاحبه"[1] ، وبذلك (لفت أنظار البلاغيين من بعده لهذا النوع من الكلام، وأعطاهم الأساس)[2] الذي ارتكزوا عليه في التأسيس له.

وأول من خصه بالحديث وقعّد له ، أبو يعقوب السكاكي (626 هـ) في كتابه "مفتاح العلوم" فحدد مصطلحه بوضوح ودقة ، وسماه "الأسلوب الحكيم" ، وقسمه إلى نوعين ، وبين كل نوع ومثّل له ، وجعله فنا من فنون خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر، وختم به الكلام عن علم المعاني ، فقال : «ولهذا النوع أعني إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر أساليب متفننة؛ إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة، على ما تنبه على ذلك منذ اعتنينا بشأن هذه الصناعة ، وترشد إليه تارة بالتصريح وتارات بالفحوى، ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يتشرب من أفانين سحرها و لا كالأسلوب الحكيم فيها»[3].

وبعد السكاكي ذكر الخطيب القزويني (739هـ) في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة" أن عبد القاهر الجرجاني (471هـ) تعرض له تحت مسمى "المغالطة" ، فقال : «وسماه الشيخ عبد القاهر مغالطة»[4] ، ولكن بالرجوع لكلام عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" لا نجد فيه ما يدل على صريح التسمية، ولا حتى الحديث عن هذا الموضوع ، كل ما في الأمر أنه ذكر مثالا من أمثلة أسلوب الحكيم في "فصل: الاستفهام له التقديم والصدارة وتقديم ما يقارنه من اسم وفعل" وحين وصل للحديث عن تقديم لفظي "مثل" و"غير" . وقد كان الحديث عليهما . ذكر كلمة "مغالطة" عرضا أثناء ذلك .

---

1 . المرجع السابق ، ص : 2/ 193 .

2 . انظر عبد العزيز عتيق : علم المعاني والبيان والبديع ، ص : 601 .

3 . يوسف بن أبي بكر السكاكي: مفتاح العلوم ، ص : 327 .

4 . جلال الدين القزويني ، المعروف بخطيب دمشق (ت: 739هـ) الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل – بيروت، ط : 3 ، 2/ 95.

ومن المعلوم أن المثال الواحد قد تتجاذبه العديد من الموضوعات ، ولذا يصعب علينا من خلال هذه الكلمة التي ذكرها الوقوف على مفهومه وقصده من ذلك ، وهذا نص كلامه حيث يقول : «كقول الذي قال له الحجاج : «لأحملنك على الأدهم» ، يريد القيد، فقال على سبيل **المغالطة**: «ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب» وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه بـ «مثل» إلى إنسان سوى الذي أضيف إليه، ولكنهم يعنون أن كلّ من كان مثله في الحال والصفة، كان من مقتضى القياس وموجب العرف والعادة أن يفعل ما ذكر، أو أن لا يفعل»[1].

ب – تسميته :

وأما من حيث تسميته – فكما سبق وأن ذكرنا – فإن أول من سماه هو السكاكي ، حيث أطلق عليه مصطلح "الأسلوب الحكيم" – بـ : أل التعريف في الأسلوب – وبه عرف واشتهر ، ومع ذلك فقد أخذ بعض البلاغيين كلمة "المغالطة" التي أشار إليها الخطيب القزويني ونسبها للجرجاني ، فاستعملوها بدل مصطلح "الأسلوب الحكيم" الذي ذكره السكاكي ، ومن هؤلاء بهاء الدين السُبكي (773هـ) في كتابه "عروس الأفراح"، وجلال الدين السيوطي (911هـ) في كتابه "شرح عقود الجمان"، وقد سار السواد الأعظم من البلاغيين قديما وحديثا على تسمية السكاكي ، وهذا هو الأولى لعدة اعتبارات ، نذكر منها ما يلي :

الاعتبار الأول :

أن كلمة المغالطة وإن كانت مضبوطة من حيث المصطلح ومن حيث القصر والاختصار ، فهي واسعة الدلالة تتداخل ضمنيا مع العديد من الفنون البلاغية، مثل : (التورية)[2] واللغز في الجواب والقول بالموجب وغير ذلك ، فكلها فيها نوع من المغالطة.

---

1 . عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ات: 471هـ) : دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط :1 ،1422هـ – 2001 م ، ص 95 ، 96

2 . انظر يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: 745هـ) : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، المكتبة العنصرية – بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1423 هـ ، 3/ 36.

الاعتبار الثاني :

أن هذه التسمية لا تليق بأسلوب ورد في القرآن الكريم ، وفي أحاديث الرسول الأمين . عليه الصلاة والسلام . وهذا ما فعله السكاكي مع الموضوع البديعي "تجاهل العارف" حين غير تسميته إلى "سوق المعلوم مساق غيره" تأدبا مع القرآن الكريم ، فقال في المفتاح حين تعرض له : «ومنه سوق المعلوم مساق غيره ، ولا أحب تسميته بالتجاهل»[1] ، وهذا غاية الحسن منه في التأدب مع القرآن ؛ إذ كيف يقال : تجاهل العارف وقد ورد في القرآن ؟! لهذا غيّره، ومثل هذا في المغالطة ؛ فكيف يقال : مغالطة في كلام الله؟! ، وفي كلام رسوله . عليه الصلاة والسلام . وإن كانت مجازية؟!. لكن هناك مندوحة في الاستغناء عنها .

الاعتبار الثالث :

أن التسمية بأسلوب الحكيم كانت الأسبق ، وهي عليه أظهر ، ولا يوجد ما يقتضي العدول عنها ، وقد عُرِف بها بين البلاغيين منذ نشأته إلى اليوم ، وما تُعُرِف عليه يصبح علما ، وعليه فلهذه الاعتبارات كانت هي الأولى من غيرها ، وهذا ما اتبعناه في هذه الرسالة .

وقد أطلق عليه بعض البلاغيين اسم "القول بالموجب" ، (ومن هؤلاء ابن أبي الأصبع المصري)[2] (654 هـ) في كتابه "بديع القرآن"[3]، (وكان أول من ابتدع هذه التسمية)[4]، وتبعه على ذلك بعض البلاغيين ولهم فيه عبارات مختلفة في مفهومه ، تتداخل أحيانا مع أسلوب الحكيم وتتباعد أحيانا أخرى ، فيتخيل لك في بعضها أنهما شيء واحد ولا فرق بينهما ، وفي بعضها الآخر ترى أن أسلوب الحكيم جزء منه وهو نوع من أنواعه .

---

1 . يوسف بن أبي بكر السكاكي : مفتاح العلوم ، ص : 427 .

2 . انظر عبد العزيز عتيق : علم المعاني والبيان والبديع ، ص : 601

3 . ابن أبي الأصبع المصري(ت: 654 هـ): بديع القرآن، تحقيق حفني محمد شرف ، نهضة مصر ، ص : 314

4 . انظر أحمد عبد المطلب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ص : 563

ونجد الخطيب القزويني في كتابه "التلخيص في علوم البلاغة" تحت (قسم البديع)[1] ، اكتفى بالحديث عن القول بالموجب ولم يتعرض فيه لأسلوب الحكيم ؛ وأما في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة" ، فإنه تحدث عن أسلوب الحكيم تحت باب : «القول في أحوال المسند إليه»[2] ولم يتحدث عن القول بالموجب .

وأيضا ممن اعتبر القول بالموجب هو أسلوب الحكيم (ابن حجّة الحموي)[3] (837هـ) في كتابه "خزانة الأدب وغاية الأرب" ، حيث يقول : «القول بالموجب، ويقال له أسلوب الحكيم»[4].

يقول أحمد عبد المطلب : «وليس الأمر كذلك بل هما يختلفان في الغاية، وإن اتفقا في أنّ كليهما إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر. فغاية القول بالموجب ردّ كلام المتكلم وعكس معناه، وغاية أسلوب الحكيم تلقي المخاطَب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أنّه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنّه الأولى بحاله أو المهم له»[5].

ويقول أحمد أمين الشيرازي : «الفرق بين القول بالموجب (أي القسم الثاني منه) والأسلوب الحكيم التفاوت بينهما في الغرض من إتيانهما. فغرض المتكلم من الأول الملاحة والمحبة، ومن الثاني تذكير المخاطَب وتنبيهه بأن غير ما قصده هو الأولى بحال المتكلم»[6].

---

1 . انظر جلال الدين القزويني (ت: 739هـ) : التلخيص في علوم البلاغة ، ضبط وشرح : عبد الرحمن الرقوقي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط : 1 ، سنة : 1904 ، ص : 386 .

2 . جلال الدين القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، 2/ 94.

3 . انظر أحمد حسن المراغي : علم البديع ، ص 106 .

4 . علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت: 837هـ) : خزانة الأدب وغاية الأرب ، : تحقيق : عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ط : 1 ، سنة 1987 ، 1 / 258.

5 . أحمد عبد المطلب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ص : 564

6 . أحمد أمين الشيرازي : البليغ في المعاني والبيان والبديع ، مؤسسة النشر الإسلامي ، إيران ، ط : 1 ، سنة : 1422هـ ، ص 278.

ويقول عبد القادر حسين : «وأنت إذا تأملت مواقع هذا النوع، ظهر لك كمال الفرق بينه وبين القول بالموجب أتم الظهور، وجزمت بخطأ من جعلها واحدا كابن حجّة حينما يقول : القول بالموجب ويقال له الأسلوب الحكيم»[1] .

وكذلك أطلق عليه بعض البلاغيين اسم "أسلوب الحكيم" ، بتنكير كلمة "أسلوب" وتعريفها بالإضافة ، كما هو في "خزانة الأدب وغاية الأرب" للحموي ، و"فن البديع" لعبد القادر حسين، و"البلاغة الاصطلاحية" لعبده قلقيلة، و"البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها" لعبد الرحمان حبنكة الميداني ، وغيرهم .

والفرق بينهما أن "الأسلوب الحكيم" من باب وصف الأسلوب ذاته بالحكمة، و"أسلوب الحكيم" من باب إضافة الأسلوب للمتكلم الذي يوصف بالحكمة؛ ففي الأول كان الوصف للكلام ، وفي الثاني كان الوصف للمتكلم .

مع الإشارة إلى أن من ذكر ذلك – وخاصة من المعاصرين – لا يظهر من كلامهم التمييز بين الصيغتين ، ولا تعمد التفريق بينهما؛ ولعل الأمر كان عفويا في بدايته؛ ثم تبع بعضهم بعضا بعد ذلك؛ لذا نجدهم يذكرون الصيغتين أثناء عرضهم للموضوع دون إشارة تدل على التغاير، كما هو الحال عند عبده قلقيلة في "البلاغة الاصطلاحية" وغيره .

وكل هذا الكلام الذي ذكرناه في نشأته وتسميته يقودنا بالضرورة للحديث عن الدراسات التي تناولته ، وواقعه في الدراسات العربية ، ومعرفة كيفية دراسته والاطلاع عليها ، لنقف على أهم الجهود التي بذلها السابقون والتي أضافها اللاحقون فيه ، لنصل إلى آخر الأمور التي انتهى إليها البحث في هذا الفن البلاغي ، للخلوص بعدها إلى أهم المحاور التي يمكن إدراجها في دراستنا هذه، وهذا ما سنقف عليه في العنصر الموالي .

---

1. عبد القادر حسين : فن البديع ، دار الشروق ، ط : 1 ، سنة : 1403 هـ ، 1983 م ، ص 105.

ج – واقعه في الدراسات العربية :

أسلوب الحكيم لم يحظ بالدراسة الكافية ، ولا يزال يحتاج للدراسة في العديد من جوانبه ، والكتب البلاغية وإن تناولته لم تتجاوز الحديث عن تعريفه الاصطلاحي ، وبيان نوعيه والتمثيل لهما ببعض الأمثلة التي تتكرر في الغالب من مُؤَلَف لآخر ، وهي : من الشعر البيتان المنسوبان لحاتم الطائي ، ومن النثر محاورة الحجاج وابن القبعثري ، وأما من القرآن فآية الأهلة ، وآية النفقة ، وكلاهما من النوع الثاني من أنواع أسلوب الحكيم الذي هو تلقي السائل بغير ما يتطلب ، مما جعل المعلومات حوله ضئيلة وموجزة ومكتفية ببيانه، كما هو الشأن في العديد من مواضيع البلاغة وخاصة مواضيع البديع ، رغم كثرة أمثلته وتعدد جوانبه في الاستعمالات المختلفة ، ولعل هذا يرجع لأسباب منها :

أولا – أن استقلال علم البديع عن علمي المعاني والبيان ، جعله لا يحظى بنفس الدراسة التي حظيا بها ؛ فقد كانت فنونه تدرس بنفس ما تدرس به فنون المعاني والبيان عندما كان معهما وتحت لوائهما ، فَفُصِّلَت بعض مواضيعه تفصيلا كبيرا ، كالطباق والتجنيس مثلا ، ولما تميز عنهما واستقل بذاته لم يفصل أغلب المحدث من فنونه كما فصل الأول ، لذا لا يزال البديع لحد الساعة في أخذ ورد بين الدارسين في العديد من مواضيعه بخلاف علم المعاني والبيان .

ثانيا . أن علم البديع كان ينظر له كمحسن عرضي وليس ذاتيا ، سواء ضمن المحسنات المعنوية أو اللفظية للكلام ، بخلاف النظرة لعلمي المعاني والبيان فهما أساس البلاغة والفصاحة ، وهذا ما جعل أهل البلاغة يلجأون له من باب تحسين الكلام وتزيينه ، ولا يُحكم من خلاله على عدم بلاغة الكلام أو فصاحته ، فكان لب البلاغة فنون المعاني والبيان فهي التي تحتاج للعناية أكثر ، وفي هذا المعنى يقول السكاكي حين مهد للتفصيل في مواضيع البديع مثل الطباق وغيره : «وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها ، وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه

أعلى درجات التحسن ، فها هنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها ، وهي قسمان : قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ»[1].

ثم بدأ بالحديث عن الطباق الذي أصبح بعد ذلك من مواضيع البديع ، وقد اتبع العلماء تقسيمه للبديع بما ذكر من القسمين (المعنوي واللفظي) ، لذا عُدَّ البديع تابعا ومكملا ، ولم يفصل كثيرا في بداياته ، وقد كان يضاف إليه كلّ جديد مبتدع لا يَنْظم تحت علم المعاني أو علم البيان .

يقول حبنكة الميداني : «اكتشف البلاغيون في النصوص البليغة ذات البيان الرفيع منثورات جمالية متفرقة ، لفظية ومعنوية ، وهذه المتفرقات المتناثرات يعسر تأليفها في أبواب وفصول ، ولا يتضح في معظمها إلحاقها بعلمي المعاني والبيان، وسموا كل واحد مما اكتشفوه منها باسم خاص به، وجمعوها في مسمى علم واحد، أطلقوا عليه اسم علم البديع»[2].

ثم فصل وبيّن كيفية هذا التحسين مفرقا بين علمي المعاني والبيان وعلم البديع ، بأن الأولين التحسين فيهما ذاتي والثالث التحسين فيه عرضي ، فيقول : «وهذه الجماليات البديعة التي يوجد فيها جماليات معنوية عبروا عنها بعبارة "محسنات معنوية" ويوجد فيها جماليات لفظية عبروا عنها بعبارة "محسنات لفظية" لها طبيعة مشابهة لأنواع الزينة التي تتزين بها النساء ، كقرط ، وسوار ، وخلخال ، وباقة ورد ، ونبات أخضر مزهر ، وتلوين بصبغ أبيض أو أحمر أو أخضر أو أصفر أو غير ذلك ، وتصفيف شعر وتثنيته وإرساله أو رفعه أو خفضه ، وتقصير ثوب أو إطالته ، أو شق جانب منه ، أو تثقيبة أو توشيته وتطريزه وزخرفته ، أو حركات خفة في الجسم ، وتثن وتكسر في القامة وتضمير للخصر وإبراز وتعظيم لمواضع جمالية ، إلى غير ذلك مما يدركه ذواقو الجمال ،

1 . يوسف بن أبي بكر السكاكي : مفتاح العلوم ، ص: 423.

2 . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ت : 1425هـ) : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ،دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1416 هـ ، 1996م ، 745/1 .

ويصعب إحصاؤه ، وقد أحس البلاغيون أن الجماليات التي اشتمل عليها علما المعاني والبيان جماليات ذاتية ، أما جماليات علم البديع فهي جماليات عرضية»[1].

ثالثا ـ أن الاهتمام بالبديع في أول الأمر ـ بعد تميزه عن علم المعاني والبيان ـ كان منكبا على الاجتهاد في استخراج فنونه والتدليل عليها ، دون التعمق فيها وتفصيلها ، ولما توقف الإبداع والابتكار والاجتهاد فيه ، وتغيرت النظرة إليه من محل للإبداع وإضافة للجديد إلى علم مستقل بذاته وقائم بفنونه ؛ بقيت العديد من فنونه ومواضيعه على حالها ، يتناقلها البلاغيون كما وردت عن مبدعيها ، ولا تكاد تجد فيها تغيرا .

ومن هذه الفنون البديعية "أسلوب الحكيم" الذي هو موضوع دراستنا هذه ، حيث بقي على حاله ولا تكاد تجد فيه تحسنا إلا اليسير الذي لا يكاد يذكر كالخلاف في التسمية – كما سبق وأن ذكرنا – أو زيادة في بعض نماذجه من الشعر والنثر والحديث ، وخاصة عند المتأخرين كما سنذكر قريبا .

وبقي الحال فيه على ما ذكرنا إلى أن جاء "أحمد بن سليمان بن كمال باشا"[2] حيث أفرده بالتأليف في رسالة خاصة به ، كان هدفه من ذلك هو ترتيبه والتفريق بينه وبين ما يشابهه من بعض الأساليب والفنون البلاغية الأخرى ، مثل التورية ، والقول بالموجب ، وغيرهما من الفنون البلاغية مما يدخل ضمن خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، فقال مبينا ذلك : «فهذه رسالة رتبناها في بيان الأسلوب الحكيم ، وتمييزه عن الأساليب المعتبرة عند أرباب البلاغة .. »[3].

---

1 ـ يوسف بن أبي بكر السكاكي : مفتاح العلوم ، 745/1 .

2 ـ هو أحمد بن سليمان بن كمال باشا ، شمس الدين: قاض، ومن العلماء بالحديث ورجاله. تركي الأصل، مستعرب . قال التاجي: قلما يوجد فن من الفنون وليس لابن كمال باشا مصنف فيه. تعلم في أدرنه، وولي قضاءها ثم الإفتاء بالآستانة إلى أن مات . له تصانيف كثيرة . توفي سنة : (940 هـ). خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ) : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط : 15 ، سنة 2002م ، 1 / 133 .

3 ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، محمد بن علي الصامل ، مقال : "الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية" العدد 15 ، شعبان 1416هـ ، ص : 73 .

فكان إفراده لهذا الفن بالتأليف ، وإخراجه مستقلا عن الفنون البديعية الأخرى ؛ يُعْتَبَر في حد ذاته لفتة منه وإن لم يضف فيه شيئا ، وهذا يُحْسَب له ، وقد تركزت دراسته هذه حول ثلاث نقاط هي :

- أنّه اهتم ببيان موضوعه ، هل هو ضمن علم المعاني تحت خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، أم هو في حالات الاستفهام ، أم هو من البديع ، دون الاهتمام بتعريفه لا لغة ولا اصطلاحا .
- كما تعرض لأمثلته التي ذكرها البلاغيون مع مناقشتها وتحليلها وإبداء رأيه فيها.
- وأضاف له أمثلة من الحديث النبوي الشريف ، وهذا ما لم يذكره البلاغيون قبله.

وبعده بقي الأمر على حاله حتى قام محمد بن علي الصامل بتحقيق هذه الرسالة ، ومن خلالها كتب بحثا فيه ليقدمه لطلبته ، وقد نشرهما في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد 15 ، شعبان 1416هـ ، تحت عنوان: "الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية" ، قسم هذه الدراسة إلى قسمين ، القسم الأول متعلق بدراسة أسلوب الحكيم ، والقسم الثاني متعلق بتحقيق رسالة ابن كمال باشا .

والذي يعنينا هو القسم الأول حيث تركزت دراسته في ما يلي :

- درس المصطلح واستنبط تعريفا اصطلاحيا له ، دون التعرض له لغويا .
- بيان العلاقة بينه وبين بعض الأنواع والفنون البلاغية المتداخلة معه .
- كما تعرض لبيان موضع دراسته عند البلاغيين من علم المعاني لعلم البديع .
- وتعرض لبيان نوعيه وناقش أمثلته التي أوردها البلاغيون .
- كما تطرق لمجالات التعبير به في أوجه الحياة المختلفة .

- واهتم بجمع الأمثلة له وتركزت إضافاته فيها على : الحديث الشريف، فلم يُعِدْ ما ذكره ابن كمال باشا في رسالته، ولكنه ذكر أمثلة أخرى، كما جمع له العديد من الأمثلة المتناثرة في

المحاورات النثرية ، والأمثلة الشعرية ، وأضاف على ما جاء به البلاغيون النماذج المصنوعة المقيسة ، وأمثلة له في الرسوم " الكاريكاتيرية " ، وهذا الأخير لم يسبقه فيه أحد قبله .

وآخر ما وقفت عليه في دراسة الموضوع رسالة لهيبة بن قو ، تحت عنوان : "أسلوب الحكيم بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف" وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأسلوبية والبلاغة ، السنة الجامعية : 1427 . 1428 هـ / 2006 . 2007 م ، جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان، وقد اختصت هذه الدراسة المقارنة بالنوع الثاني من أسلوب الحكيم . فقط . المتعلق بتلقي السائل بغير ما يتطلب ، دون النوع الأول المتعلق بتلقي المخاطَب بغير ما يترقب ، لأنها وجدت صعوبة في إيجاد النوع الأول وخاصة من القرآن ، كما أشارت في رسالتها ، وتمثلت هذه الدراسة المقارنة في ثلاثة محاور بارزة ، هي :

أولا – موضوعاته في كل من القرآن والحديث والمقارنة بينهما .

ثانيا – أبعاده في كل من القرآن والحديث والمقارنة بينهما .

ثالثا – خصائصه الأسلوبية في كل من القرآن والحديث والمقارنة بينهما .

وأما فيما يخص رسالتي هذه فإني سأتعرض فيها لبعض المحاور ، وهي :

أولا . تحديد مفهومه كمركب لغوي ، وربط ذلك بالمفهوم الاصطلاحي .

ثانيا – ذكر التعريفات الواردة فيه ، بين كتب التعريفات ومعاجم البلاغة وكتب البلاغة ، وبيان أيّها أولى من غيره .

ثالثا – بيان أهم أغراضه البلاغية ، والتمثيل لها من خلال أمثلته في الدرس البلاغي .

رابعا – استقراء أكبر قدر ممكن من أمثلته في القرآن الكريم ، وتوزيعها بانتظام في طيات البحث فيما يتعلق بدراسته في القرآن الكريم .

خامسا – التمثيل لأغراضه البلاغية من خلال القرآن الكريم وبيان قيمتها البلاغية .

سادسا – الوقوف على أبرز ظواهره الأسلوبية وبيان قيمتها من خلال الأمثلة القرآنية .

تلكم أهم المحاور التي تتناولها هذه الدراسة لأسلوب الحكيم ، والتي سوف نتعرض لها من خلال الفصلين الآتيين ، ولكن قبل ذلك نعرج بشيء من الحديث عن بيان الأسلوب القرآني.

2 – الأسلوب القرآني :

ونحن نتحدث عن أسلوب من أساليب القرآن الكريم فإنه من اللازم علينا أن نتحدث ولو بشيء من التفصيل عن الخطاب القرآني من حيث لغته وما يتميز به أسلوبه ، وهذا يعطينا الصورة العامة له ويكون بمثابة التمهيد للحديث عن الأسلوب الحكيم في القرآن بعد ذلك .

ولتعريف القرآن الكريم يمكن القول : (إن القرآن الكريم يتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول .. ولذلك اختلف العلماء في تعريفه . فمنهم من أطال في التعريف وأطنب بذكر جميع خصائص القرآن ، ومنهم من اختصر وأوجز ، ومنهم من اقتصد وتوسط)[1].

ومن هذه التعريفات نذكر ما ذكره محمد معبد في كتابه نفحات من علوم القرآن حيث يقول: «هو كلام الله تعالى المعجز المنزّل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلم بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس، والمتحدى بأقصر سورة منه»[2].

وجاء في كتاب من روائع القرآن لسعيد رمضان البوطي بأن القرآن : «اللفظ العربي المعجز الموحى به إلى محمد صلّى الله عليه وسلّم المتعبّد بتلاوته والواصل إلينا عن طريق التواتر»[3].

وهناك غيرها من التعريفات كلها تدور حول انتقاء بعض الصفات المميزة لكتاب الله ، مثل : بأنه كلام الله ، والمعجز ، والمنزل ، والمتعبد به ، والمكتوب في المصاحف ... حتى يعبروا بها عن تعريفهم له . ولعل أقرب هذه التعريفات وأشملها ما ذكره صبحي صالح في كتابه مباحث في علوم

---

1 . انظر أكرم عبد خليفة حمد الدليمي : جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/1 ، سنة : 1427 هـ - 2006م ، ص: 19.

2 . محمد أحمد محمد معبد (المتوفى: 1430هـ) : نفحات من علوم القرآن ، دار السلام – القاهرة ، . ط/2 ، سنة : 1426 هـ - 2005 م ، ص: 11.

3 . محمّد سَعيد رَمضان البوطي: من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة – بيروت ، سنة : 1420 هـ - 1999 م، ص :25.

القرآن ، حيث يقول : «إنه الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته» ، ثمّ يقول معقبا على هذا التعريف : «وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية»[1].

ولا مرية أن لهذا القرآن أسلوبه الذي تميز به بما فيه من خصائص فنية، وسمات بلاغية، ولطائف لغوية، وسلامة منطقية ، وبراعة تعبيرية ، ودقة تصويرية ، وروعة بيانية . يقول الزرقاني: «أسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه»[2].

ثم يقول : «ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها»[3].

ولهذا أفاض العديد من الأدباء والبلغاء والعلماء في دراسة الأسلوب القرآني قصد بيان خصائصه وسماته ومميزاته المختلفة التي تبرهن على إعجازه وقوة بيانه ، مثل الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" ، والزرقاني في كتابه " مناهل العرفان" ، والرافعي في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" وكتابه "تاريخ آداب العرب" ، ومحمد عبد الله دراز في كتابه "النبأ العظيم" ، ومحمد أبو زهرة في كتابه "المعجزة الكبرى" ، ومحمد بكر إسماعيل في كتابه "دراسات في علوم القرآن" وغيرهم ممن خصه بالحديث أو ضمنه في مؤلفه ، وسوف نجمل حديثنا عن بيان ذلك في ثلاثة عناصر أساسية تهمنا في مجال بحثنا هذا وتتعلق به ، لما فيها من الحديث عن جمالية لغة القرآن وبراعته في التعبير والتقرير وما يحتوي عليه أسلوبه من دقة في التصوير بما له علاقة وطيدة بأسلوب الحكيم في قوة التأثر .

---

1 . صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن دار العلم للملايين، ط/24 ، كانون الثاني/ يناير 2000، ص: 21.

2 . محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ) : مناهل العرفان في علوم القرآن ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط/3 ، 2/ 303.

3 . المرجع نفسه والصفحة نفسها .

أ – جمالية التعبير

القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، وقد احتوى على أعذب الألفاظ العربية وأفصحها وأبلغها ، مما تعرفه العرب وتداولته بينها ، ولم يخرج من كل ذلك عن سننهم في الكلام لا لفظا ولا معنى لا إفرادًا ولا تركيبًا ، ومع ذلك وإن كانت تلك الألفاظ معهودة عندهم واستعملوها بينهم وجاءت على ألسنة شعرائهم ؛ إلا أن القرآن الكريم قد فاق وعلا جميع كلامهم وتحداهم بأقصر سورة منه رغم كونهم من أرباب الفصاحة والبيان ، وما ذاك إلا لحسن سبكه وجودة رصفه وروعة تأليفه . قال الرماني : «فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام»[1].

فالقرآن الكريم انفرد بطريقة سويّة قويمة في تجلية المعاني وتأدية الدلالات ، وإبراز ذلك في قوالب لفظية لغوية لا اختلاف بينها ولا تباين ، فلا ترى تنافُرَ بين عباراتها ولا بين حروفها ، وبهذا كان القرآن وسيبقى أبدًا هو الكتاب الذي لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تبلى جدته، ولا يمله قارئوه ولا سامعوه.

فأنت حين تقرأ أي مقطع من القرآن تجد أن الألفاظ فيه متعانقة منسجمة متماسكة يأخذ بعضها بأعناق بعض ، إما سلسلة رقيقة عذبة متجانسة أو فخمة جزلة متآلفة ، فتراها متآخية متجاورة متجاوبة إيقاعا وجرسا ، ومنسجمة دلالة ومعنى على أفضل مستوى يمكن للبشر أن يتصوره .

فذاك هو النظم المعجز حيث يستحيل عليك أن تستغني فيه عن كلمة منه دون إخلال بالمعنى المقصود في أي آية منه ، فكل كلمة في مكانها لا يمكن استبدالها بغيرها ، فلو استبعدناها لم نقدر أن نضع مكانها أخرى تقوم مقامها وتؤدي وظيفتها ، فكل لفظة لها دلالاتها في تركيبها

1 . عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة : 1394هـ/ 1974م ، 18/4.

ومكانها لا تؤديه غيرها ، فمهما رددت النظر وكررت التلاوة فلن تقف على زيادة فيه أو نقص أو ترادف في الكلمات.

يقول الزرقاني : «ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي وذاك النظام الصوتي أنهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية كانا سورا منيعا لحفظ القرآن من ناحية أخرى ، وذلك أن من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن الكريم ، وبذلك يبقى أبد الدهر سائدا على ألسنة الخلق وفي آذانهم ويعرف بذاته ومزاياه بينهم فلا يجرؤ أحد على تغييره وتبديله مصداقا لقوله سبحانه:﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1]»[2].

ف «نظام القرآن الصوتي في ائتلاف حركاته وسكناته، ومدَّاته وغنَّاته، واتصالاته وسكتاته، أمر يبهر العقول، ويسترعي الأسماع ويستهوي النفوس، بصورة تختلف كل الاختلاف عَمَّا يجده المتذوق لكلام الناس من نسق وانسجام، فإنه مهما كان كلام البشر سهلًا جزلاً عذبًا، فإنه لا يخلو من قصور في المعنى، أو ثِقَلٍ في النطق، أو خَلَلٍ في الترتيب»[3].

و«إن من ألقى سمعه إلى هذه المجموعة الصوتية الساذجة يشعر من نفسه ولو كان أعجميا لا يعرف العربية بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر لأن الموسيقى تتشابه أجراسها وتتقارب أنغامها فلا يفتأ السمع أن يملها والطبع أن يمجها ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان وتتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالبا وإن طالت على نمط يورث سامعه السأم والملل بينما سامع لحن القرآن لا يسأم ولا يمل لأنه يتنقل فيه دائما بين ألحان متنوعة وأنغام متجددة على أوضاع مختلفة يهز كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفئدة.

---

1. سورة الحجر ، الآية : 9.
2. محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، 2/ 313.
3. محمد بكر إسماعيل: (ت: 1426هـ) دراسات في علوم القرآن دار المنار، ط: 2 ، 1419هـ-1999م، ص: 331.

وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام سواء أكان مرسلا أم مسجوعا حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر لأنهم أدركوا في إيقاعه وترجيعه لذة وأخذتهم من لذة هذا الإيقاع والترجيع هزة لم يعرفوا شيئا قريبا منها إلا في الشعر ولكن سرعان ما عادوا على أنفسهم بالتخطئة فيما ظنوا»[1].

فالقرآن الكريم رغم ما نراه من تكونه من هذه الحروف المتقطعة التي بدأ بها بعض السور إلا أنه جاء من مجموع تلك الألفاظ العربية بأفصحها وأيسرها في النطق على اللسان، وأسهلها في الإدراك على الأفهام، وأمتعها في السمع للآذان، وأقواها في التأثير على الأفئدة والجنان ، وأوفاها تأدية للمعاني في الإبلاغ والبيان ، فقد ركَّبَها تركيبًا محكما في النظم والتأليف ، لا يدانيه في نسجه أي كلام ، وذلك لما في ألفاظه من الإيحاءات والدلالات ، وما في تركيبه من التناسق والتماسك والانسجام .

فالنغمة القرآنية ليست مجرد صوت منسجم، بل إن لها صلة بالمعاني، وتشارك النغمة في جلاء المعنى حسا وفكرا، حيث يأتي جرس ألفاظ القرآن ونغم سياقه مؤتلفا مع معانيه متعاضدا معها في أداء الإيحاءات والآثار النفسية والوجدانية تآلفا دقيقا، ستظل المواهب الإنسانية تعجز عن بلوغه.

وليس هذا فحسب ، بل إن القرآن مع كل هذا تناول أمورا عديدة متفاوتة ؛ من القصص إلى الوعظ ، ثم إلى الحجاج ، ومنه إلى الحِكم والأحكام ، وبعدها إلى الوعد والعيد أو الحديث عن عالم الغيب والشهادة في نسق واحد داخل نفس التركيب في نفس السورة حتى تنتهي بهذا التناسق والانسجام العجيب ، ولا ترى أثر التفكك ولا الاختلاف أو التناقض والتنافر.

كما أن الأسلوب القرآني نراه يُورِد الغرض الواحد بألفاظ متعددة وبطرق مختلفة ، بما يدلك على براعة تعبيره ودقته ، كما سنراه في النوع الثاني من الأسلوب الحكيم حيث السؤال عن يوم

---

1 . محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ،2/ 310.

القيامة ، وكيف تتعدد الإجابة من موضع لآخر ومع ذلك لا يشعرك بتكرر السؤال مطلقا ، ولا بأس أن نأخذ مثلا هنا بالأمور المفروضة من الله على عباده ، فإنك تجد الأسلوب في الطلب يتغير ويتبدل من موضع لآخر ، فتراه مرة يكون عن طريق الإتيان بصريح مادة الأمر ، من ذلك قوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾[1].

ومرة أخرى يسلك أسلوبا آخر بأن يأتي بالأمر عن طريق الإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين ، مثل قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[2]. أو يكون الطلب بطريق وصف الفعل ذاته بالفرضية ، مثل قوله تعالى : ﴿**قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ** ﴾[3] . أي من بذل بالمهور والنفقة .

وتارة يكون عن طريق الإخبار بكونه على الناس ؛ مثل قوله تعالى : ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾[4] . وفي أخرى تجده يذكر الشيء المفروض عن طريق الإخبار به ، ليدل على أنه مطلوب منهم الإتيان به ، مثل قوله تعالى : ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**﴾[5] ، أي مطلوب منهن أن يتربصن .

أو يأتي – أيضا – عن طريق الإخبار بخيرية الفعل ليرغب فيه ، مثل قوله تعالى :﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ**﴾[6].

وأحيانا عن طريق ترتيب الوعد والثواب على الفعل ، مثل قوله تعالى : ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[7]. إلى غير

1. سورة النساء، الآية : 58.
2. سورة البقرة، الآية : 183.
3. سورة الأحزاب، الآية : 50.
4. سورة آل عمران، الآية : 97.
5. سورة البقرة، الآية : 228
6. سورة نفسها، الآية : 220.
7. سورة البقرة ، الآية : 245.

ذلك من طرق التعبير المختلفة التي يسلكها الأسلوب القرآني في تقرير هذه الحقائق المفروضة ، وبهذا كان تعبيره موطن الإعجاز ويظل أسلوبه في المنزلة العليا من الفصاحة والبيان ، يقول محمد عبد الله دراز : «فالجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شئون القول يتخير له أشرف المواد، وأمسها رحمًا بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين. لا يومًا أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكان يريد بساكنه بدلًا، ولا الساكن يبغي عن منزله حِوَلًا.. وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان»[1].

ويقول الرافعي : «من ذلك يخلصُ لنا أن القرآن الكريم إنما ينفرد بأسلوبه، لأنه ليس وضعاً إنسانيا البتة، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوباً من أساليب العرب أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد، ولا من الاختلاف فيه عند ذلك بد في طريقته ونسقِه ومعانيه ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[2] ؛ ولقد أحس العرب بهذا المعنى واستيقنه بلغاؤهم ولولاه ما أفحموا ولا انقطعوا من دونه؛ لأنهم رأوا جنسًا من الكلام غير ما تؤديه طباعهم، وكيف لهم في معارضته بطبيعة غير مخلوقة؟»[3] .

وملخص القول (أن اللفظ الذي انتقاه الله من أفصح لغات العرب يمتاز عن غيره من الألفاظ السائدة في كلامهم بثلاث سماتٍ رئيسية:

الأولى: جمال وقعه في السمع.

---

1 . محمد بن عبد الله دراز (ت : 1377هـ) : النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية ، تقديم : عبد العظيم إبراهيم المطعني ، دار القلم للنشر والتوزيع ، سنة الطبع : 1426هـ- 2005م ، ص: 121.

2 . سورة النساء ، الآية : 82 .

3 . مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ) : تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، 2/ 135.

الثانية: انسجامه الكامل في المعنى.

الثالثة: اتساع دلالته لما لا تتسع له عادة دلالات الألفاظ الأخرى.

وقد نجد هذه السمات الثلاثة في بعض الأساليب الأدبية، ولكنها لا تجتمع كلها في أسلوب أديب)[1]. ولا يتوقف الأمر عند هذه الخاصية ؛ بل نجده – أيضا – يتصف بسمات أخرى منها السمة الآتية :

ب – دقة التصوير

من جمالية التعبير تكون دقة التصوير ، وهو من السمات الأساسية البارزة للأسلوب القرآني في طريقة التعبير عن المعاني والأفكار والتصورات التي يريد إيصالها وإيضاحها للمخاطبين ، سواء كانت معاني ذهنية مجردة، أو قصصاً غابرة، أو مشاهد ليوم القيامة وغيرها من المجالات التي سنذكر منها ما يتعلق ببحثنا في القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم في الفصل الثاني من هذا البحث .

إن الأسلوب القرآني يجسد المعنى الذي يُرَاد إيضاحه للمتلقي في قالب من الصور البيانية تجعلها كأنها مجسّمة منظورة بين ناظريه ، فينظر القارئ في تفصيلات الصورة ، وكأن المشهد يجري بين عينيه حيّاً متحرّكاً، فتكون أقرب إلى الفهم وأوضح في الذهن مما لو نقل المعنى مجرّداً من تلك الصور الحيّة . يقول محمد بكر إسماعيل : «فالقرآن الكريم يبرز المعاني المعقولة في صور محسنة منتزَعَة من الواقع المشاهَد، مؤتلفة ائتلافًا عجيبًا في قوالب كلية متحركة، تشعر فيها بالأصوات والألوان والحركات، مما يجعلك تعيش مع الواقع الذي تصوره لك هذه التشبيهات والاستعارات والكنايات، المسبوكة سبكًا فريدًا يأخذ بمجامع القلوب، ويملك على الإنسان حسَّه ومشاعره، فلا

---

1 . انظر محمد بكر إسماعيل : (ت: 1426هـ) دراسات في علوم القرآن دار المنار ، ط / 2 ، الطبعة: الثانية 1419هـ-1999م، ص: 331.

يحتاج إلى مزيد تصوير للحقائق التي يذكرها القرآن في ثنايا هذه اللوحات البارعة البديعة في عناصرها، وائتلافها وانسجامها مع معانيها ومراميها.

إنها تشبيهات واستعارات وكنايات حيوية، تستمد حيوتها من الطبيعة في أسمى مظاهرها وأبهج مناظرها .. ومن سماته التي اكتشفوها بالاستقراء والتتبُّع لهذه الصور البيانية أنها تصوِّر الغائب حتى يصبح حاضرًا، وتقرِّب البعيد النائي حتى يصير قريبًا دانيًا. ومن سماتها إنها تتغلغل في النفس البشرية حتى تصير جزءًا من كيانها الروحي.

ومن سماتها أيضًا التلوين في التشبيهات، فكثيرًا ما يكون المشبَّه واحدًا والمشبَّه به شيئان فأكثر، تثبيتًا للمعاني المرادة، وتعميقًا لآثارها في النفس . ومن ذلك ما شبَّه الله به حال المنافقين في سورة البقرة ، بقوله جل شأنه: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1].

والتشبيه الأول ناري والثاني مائي، والمشبَّه فيهما المنافقون، والمشبَّه به أمور كثيرة مؤتلفة لا ينفك بعضها عن بعض، والصور فيهما كلية متزاحمة في نسق فريد، لإبراز أحوال هؤلاء المنافقين إبرازًا لا تخفى معه حقيقة من حقائقهم، ولا خفيَّة من خفاياهم، فقد أخرجت لنا ما كان يدور في خلجات نفوسهم من شرٍّ أرادوا به المسلمين، وما كانت تنطوي عليه ضمائرهم من خبث ومكر ودهاء، وكشف لنا بجلاء عن عاقبة أمرهم في الدنيا والآخرة. فهي في إدعائهم الإيمان كمن أوقد لنفسه نارًا لينتفع بها، وفي إخفائهم الكفر يكون مثلهم كمثل من لم ينتفع بالنار التي أوقدها، أو أوقدت له، فالمنافقون قد أظهروا الإيمان حمايةً لأنفسهم وأموالهم، ولتكون لهم مثل ما

---

1 . سورة البقرة الآيات : 18 . 20 .

للمؤمنين من الحقوق العامة في الغنيمة، والزكاة، وغيرها . لكنهم بكفرهم الذي أخفَوْه فأظهره الله في محكَم آياته فقدوا الانتفاع والتمتُّع بهذه الحقوق الدنيوية، وفقدوا أيضًا ثواب الآخرة، وحُرِمُوا نور الله الذي أوقدته في قلوبهم فطرة الله التي فطرهم عليها، وأوقده لهم نبيهم بما كان يتلوه عليهم من قرآن . وهم في تخوّفهم من أن يفتضح أمرهم، واحتيالهم في إخفاء كفرهم، وإفسادهم في الأرض، ومداهنتهم المؤمنين تارة، وطاعتهم لشياطينهم من الجن والإنس تارة أخرى؛ كمثل أهل الصيب الذين يكونون في أمسِّ الحاجة إليه، فينزل عليهم مصحوبًا برعد وبرق، وظلمات بعضها فوق بعض، فهم يطمعون في الغيث، ولكنهم يخشون مايصحبه من رعد وبرق وظلمة، يحاولون أن يتجاهلوه بوضع أناملهم في آذانهم توقيًا من الموت فزعًا وهلعًا، ولكن دون جدوى، فالله محيط بهم وبأمثالهم.

ومثلهم في ترددهم في شأن الإيمان، وحيرتهم بين إرضاء إخوانهم من اليهود والمشركين، لنَيْل ما في أيدي كليهما من المنافع العاجلة، مثلهم في ذلك كمثل من يمشي في ظلمة حالكة، لا يبصر تحت قدميه شيئًا، فيبرق البرق، فيمشي على ضوئه هنيهة، فإذا ذهب البرق –وسرعان ما يذهب– وقف كما هو، لا يقدِّمُ رجلًا ولا يؤخِّر أخرى، فقد بلغ به الأمر أقصى درجات الخطر، فأفقده القدرة على مجرد التفكير في الذهاب والإياب .

وفي هذين المثلين وجوه من التشبيه لا تكاد تنحصر، فهي تختلف بحسب حال الممثَّل له في جميع مواطنه وشتَّى عصوره، بحيث لو أُجْرِيَّ كُلُّ مثلٍ من هذين المثلين على قوم من المنافقين في أي عصر، وفي أي مكان، لطابق المشبَّه المشبَّه به، وطابق الاسم المسَمَّى.

ومن عجيب أمر الأمثال في القرآن الكريم أنها تخلو من المبالغات التي تخرِجُ الكلام عن المعاني المرادة إلى جوٍّ من الخيال المفرِط، الذي يؤدي إلى تشتت الأذهان، وذهاب الحقائق وخلوِّ الأسلوب عن الإقناع العقلي، وإن صحبه شيء من الإمتاع العاطفي.

لهذا كانت تشبيهات القرآن، وأمثاله صورًا حية تعبِّر عن الواقع، لا تعدوه إلى غيره، ومع ذلك تجدها لا تخلو من الإمتاع العاطفي، والتأثير الوجداني، بما اشتملت عليه من ألوان المعاني والبيان

والبديع، الذي يخلو تمامًا من التكلُّف والتعسف ، مع رقَّةٍ في النظم والحواشي والفواصل، كانت ولا تزال زادًا للبلغاء والأدباء، ومتعة عظيمة لكل ذوَّاقة لفنون الكلام البليغ في أسمى صوره، وأبهى معانيه .. .

وهكذا نجد العلماء في كل زمانٍ ومكانٍ يحلِّقون في سماء القرآن لاستنباط معانيه من خلال مبانيه، ويبحثون في جِدٍّ عن لطائفه البلاغية، ودقائقه اللغوية، ليقفوا من وراء ذلك كله على معانيه ومراميه بقدر طاقتهم البشرية . لكنهم لا يحصلون منه إلّا غرفة من بحر، أو رشفة من غيث، فهو كتاب الله القويم، وحبله المتين ونوره المبين»[1].

وبهاتين الخاصيتين يكتسب أسلوب القرآن الخاصية الموالية والتي هي :

ج – قوة التأثير

الأسلوب «القرآني يميل إلى قوة التأثير بجميع الوسائل الفنية»[2] ، وذلك مدعاة بالضرورة إلى التأثير في الإنسان لأنه المستهدف الأول في الخطاب القرآني ، وهكذا رأيناه مع جمالية التعبير من حيث جودة المعنى وحسن التركيب وبراعة التوظيف مع قوة الإيقاع ، إلى أن وصلنا لدقة التصوير ، وما يحمله من لوحات فنية تخاطب كل كيان الإنسان في صورة حيّة مشرقة .

فالصورة البيانية للأسلوب القرآني تبعث في النظم قوة التأثير بنفوذها إلى الذهن وتسربها منه عبر أغوار العقل إلى أعماق القلب، لتلامس مشاعر الإنسان بمؤثراتها القوية الفاعلة، حتى تصل تلك الصورة إلى محاصرة الإنسان من كل مشاعره؛ الجسدية والنفسية والفكرية والوجدانية.

وبالرغم من «أنّ الذهن منفذ من منافذ المعنى، ولكنّه ليس المنفذ الوحيد له، فالإيقاع يشترك مع الذهن في توصيل المعنى ويزيد عليه في قوة التأثير في النفس»[3] ، وهكذا يجمع القرآن في أسلوبه

---

1 . محمد بكر إسماعيل : دراسات في علوم القرآن ، ص:333 وما بعدها.

2 . أحمد ياسوف : جماليات المفردة القرآنية ، دار المكتبي – دمشق ، ط / 2 ، سنة : 1419 هـ – 1999م ، ص: 249.

3 . عبد السلام أحمد الراغب ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب ، ط/1 ، سنة : 1422 هـ – 2001 م ، ص: 395 .

التأثيري بين وسائل التعبير ووسائل التصوير ، «ولا تعجب من هذا القول ، فإنك لو تهيَّأت لتلاوته أو سماعه بقلب مفتوح مجرَّد عن الشهوات والشبهات لسبق قلبك إلى تلاوته لسانك ، وسبق إلى سماعه أذنيك ، ومن ذاق عرف»[1] .

يقول الزرقاني في الخاصية الثانية للأسلوب القرآني وهو يبيّن قوة التأثير فيه : «إرضاؤه العامة والخاصة ، ومعنى هذا أن القرآن الكريم إذا قرأته على العامة أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم ، وكذلك الخاصة إذا قرؤوه أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه أكثر مما يفهم العامة ورأوا أنهم بين يدي كلام ليس كمثله كلام لا في إشراق ديباجته ولا في امتلائه وثروته ولا كذلك كلام البشر فإنه إن أرضى الخاصة والأذكياء لجنوحه إلى التجوز والإغراب والإشارة لم يرض العامة لأنهم لا يفهمونه وإن أرضى العامة لجنوحه إلى التصريح والحقائق العارية المكشوفة لم يرض الخاصة لنزوله إلى مستوى ليس فيه متاع لأذواقهم ومشاربهم وعقولهم»[2].

ويقول في الخاصية الثالثة : «إرضاؤه العقل والعاطفة ومعنى هذا أن أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معا ويجمع الحق والجمال معا انظر إليه مثلا وهو في معمعان الاستدلال العقلي على البعث والإعادة في مواجهة منكريهما كيف يسوق استدلاله سوقا يهز القلوب هزا ويمتع العاطفة إمتاعا بما جاء في طي هذه الأدلة المسكتة المقنعة إذ قال الله سبحانه في سورة فصلت : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[3] ، وإذ قال في سورة ق : ﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ، وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ**

---

1 . محمد بكر إسماعيل : دراسات في علوم القرآن ، ص : 339.

2 . محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، 2/ 313.

3 . سورة فصلت ، الآية : 39 .

جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ، رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[1] ، تأمل في الأسلوب البارع الذي أقنع العقل وأمتع العاطفة في آن واحد حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل إذ قال في الآية الأولى إن الذي أحياها لمحي الموتى وفي الآيات الأخيرة كذلك الخروج ، يا للجمال الساحر ويا للإعجاز الباهر الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معا بأنصع الأدلة وأمتع المعروضات في هذه الكلمات المعدودات!»[2].

وبهذا الحديث عن الأسلوب القرآني ننهي المدخل لندخل في الفصل الأول من البحث والذي خصصناه للحديث عن الأسلوب الحكيم في الدراسي البلاغي.

---

1 . سورة ق ، الآيات : 7 . 11 .

2 . محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، 2/ 313.

الفصل الأول

الأسلوب الحكيم في الدرس البلاغي

. المبحث الأول : مفهومه .

. المبحث الثاني : أنواعه .

. المبحث الثالث : أغراضه .

المبحث الأول : مفهومه

عندما نرجع لكتب البلاغة القديم منها والحديث نجدهم لم يتعرضوا للمفهوم اللغوي لأسلوب الحكيم ، كما أنهم لم يذكروا تعريفاته الاصطلاحية المختلفة رغم ما فيها من تفاوت ، ويكتفون بتعريف واحد من الناحية الاصطلاحية دون التعريف اللغوي ، وفي الغالب ما أورده القزويني ، ثم يدخلون مباشرة في الحديث عن أنواعه والتمثيل لها ، وينتهي الحديث فيه ، وهذا بحكم نوعية دراستهم له والمقصد منها ، لذا كان هذا المبحث لهذا الغرض حتى نجلي مفهومه اللغوي والاصطلاحي ومدى الترابط بينهما .

1 . لغة :

أسلوب الحكيم مصطلح مركب من أسمين هما : الأسلوب والحكيم ، ولذا نتطرق لكل واحد منهما على حدى ، لنقف على المفهوم اللغوي لكل كلمة منهما ، للوصول إلى مفهوم لغوي لهذا المركب يتوافق مع مفهومه الاصطلاحي.

أ) . الأسلوب :

لقد اختلفت التعريفات اللغوية لكلمة "أسلوب" وذلك لتعدد معناها واختلاف استعمالاتها ، ونبدأ بما ذكره ابن فارس (المتوفى: 395هـ) في أصل هذه المادة ؛ حيث يقول : «السين واللام والباء أصل واحد، وهو أخذ الشيء بخفة واختطاف»[1].

ويقال للسطر من النخل : أسلوب ، وكل طريق ممتد فهو أسلوب[2].

---

1 . أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) : مقاييس اللغة ،.تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، سنة : 1399هـ – 1979م ، 3/ 92.

2 . انظر محمد بن أحمد الأزهري أبو منصور (المتوفى: 370هـ) : تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط : 1 ، 12/ 302 . ومحمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط : 3 ، سنة : 1414 هـ ، 1/ 473.

ويقال : إن كل شيء امتد من غير اتساع فهو : أسلوب[1] .

والأسلوب : الوجه والطريق والمذهب ، يقال : أنتم في أسلوب شر ، ويجمع أساليب[2].

والأسلوب : الطريق تأخذ فيه[3]. وقد سلك أسلوبه : طريقته . وكلامه على أساليب حسنة[4].

والأسلوب بالضم : الفن ؛ يقال : أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه[5].

فمن خلال هذه التعريفات اللغوية لكلمة "الأسلوب" نستشف مدى الارتباط الوثيق بينها وبين الأسلوب في الكلام ، ونلحظ ذلك ابتداء من كلام ابن فارس حيث بيّن أن أصل المادة (س ل ب) تعني : «أخذ الشيء بخفة واختطاف» ، وهو ما يحدث عند المتكلم ، حين يريد الكلام ليعبر عن أفكاره وأغراضه ، فإنه يختطف الألفاظ بكل خفة وسرعة من قاموسه اللغوي في زمن قياسي يسير ليركب بها بنية متكاملة منتظمة مترابطة العلاقات بين وحداتها من خلالها يتشكل أسلوبه وتحمل دلالات مختلفة سطحية وعميقة تتناسب وما يقتضيه السياق والحال.

وسطر النخيل : يدل على الاستقامة والاستمرار . وهذا هو حال الكلام يشبه السطر من النخيل ، فالكلمة تتلوها الأخرى ؛ والجملة تتبعها الثانية ، فيتشكل الكلام ويستقيم معناه فيؤدي المقصود منه .

والطريق الممتد ، وهذا يعني :

أولا . هو امتداد في المكان .

---

1 . انظر نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: 573هـ) : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق : حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني ، ويوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1420 هـ – 1999 م ، 5/ 3158.

2 . انظر محمد بن أحمد الأزهري : تهذيب اللغة ، 12/ 302 . ومحمد بن منظور : لسان العرب ، 1 / 473.

3 . انظر محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، 3/ 71 . ومحمد بن منظور : لسان العرب ، 1/ 473.

4 . انظر الزَّبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، 3/ 71.

5 . انظر محمد بن منظور: لسان العرب ، 1/ 473 . والزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس ، 3/ 71.

وثانيا ـ هو وسيلة إلى الهدف المقصود . أو هو : "طريقة الوصول إلى المطلوب"[1] .

وعليه فالأسلوب امتداد في النص حتى غلب عليه ، وهو وسيلة أو طريقة للوصول إلى الغرض الذي يريده صاحبه .

والوجه والمذهب ، فنقول : "سلكت أسلوب فلان"[2] أي مذهبه ووجهته ، ومن هنا كان إطلاقه على مذهب المؤلف أو الكاتب أو المتكلم في تنسيق أفكاره والتعبير عن وجهته .

وهو الفن : ولا ريب أن كل علم فن من الفنون يتميز عن غيره ، وكل علم يتكون من فنون مختلفة من الموضوعات تتميز عن بعضها البعض ، والأساليب فن من الفنون تتميز عن بعضها البعض ، وهذا ما ذهب إليه بعض البلاغيين لتمييز بين فنون البلاغة، ومنهم السِّجلماسيّ؛ حيث جعل كل فن بلاغي أسلوبا يتميّز عن غيره من الفنون الأخرى[3] .

فهذه الأمور جميعا ـ كما رأينا ـ مترابطة ، وبينها معنى مشترك به يتشكل مفهوم الأسلوب ، يقول الزرقاني: «يطلق الأسلوب في لغة العرب إطلاقات مختلفة فيقال للطريق بين الأشجار وللفن وللوجه وللمذهب وللشموخ بالأنف ولعنق الأسد ويقال لطريقة المتكلم في كلامه أيضا وأنسب هذه المعاني بالاصطلاح الآتي هو المعنى الأخير أو هو الفن أو المذهب لكن مع التقييد»[4].

ثم يعرف الأسلوب فيقول : «تواضع المتأدبون وعلماء العربية على أن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي

---

1 ـ أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) : معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط : 1 ، سنة : 1429 هـ – 2008 م ، 2/ 1089.

2 ـ انظر محمد بن منظور: لسان العرب ، 1/ 473 .

3 . انظر محمد بن أبي القاسم السجلماسي : المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق : علاّل الغازي، مكتبة المعارف : الرباط ، سنة : 1980م ، ص208.

4 ـ محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ) : مناهل العرفان في علوم القرآن ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، سوريا ، ط/3 ، 2/ 302.

انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك»[1].

ولهذا يقول محمد جبر بأن الأسلوب : «في أيسر صور تعريفه هو طريقة التعبير»[2].

وسوف نستفيد من هذين التعريفين في تعريف "أسلوب الحكيم " كمركب بعد ذلك ، ولكن قبل ذلك ننتقل للشطر الثاني من هذا المركب ، وهو لفظ : "الحكيم" .

ب) . الحكيم :

مثل ما ذكرنا في تعدد المعاني اللغوية لكلمة "الأسلوب" بأنها مترابطة في تشكيل معنى الأسلوب ، أيضا مثل ذلك في المفهوم اللغوي لكلمة "الحكيم" كما سنرى .

يقول ابن فارس في أصل هذه المادة : «الحاء والكاف والميم أصل واحد ، وهو المنع .. والحكمة هذا قياسها ، لأنها تمنع من الجهل .. والمحكم : المجرب المنسوب إلى الحكمة»[3] .

وجاء في شمس العلوم : «الحكيم : صاحب الحكمة ، قيل : هو المانع من الفساد»[4] . ونستشف من هذا معنى تدور حوله كلمة حكيم ، وهو : المنع .

وقال المبرد : «الحكيم : المصيب للحق»[5] . وهذا نستشف منه معنى لكلمة حكيم ، وهو : الإصابة .

وقد ورد في مختار الصحاح لصاحبه زين الدين الرازي : «والحكيم أيضا المتقن للأمور»[6] .

---

1 . المرجع السابق، والصفحة نفسها .

2 . محمد عبد الله جبر : الأسلوب والنحو ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ط : 1، سنة : 1409هـ ، 1988م ، ص : 5.

3 . أحمد بن فارس : مقاييس اللغة ، 2/ 91.

4 . الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، 3/ 1535.

5 . المرجع السابق ، 3/ 1535.

6 . زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) : مختار الصحاح ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط : 5، سنة : 1420هـ / 1999م ، ص: 78.

ولعل هذا ما أراده ابن الأثير ، بقوله : «الحكيم فعيل بمعنى فاعل : أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها»[1] . لذا «يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم»[2] . ومن هنا كان لفظ «الحكيم : اسم من أسماء الله الحسنى ، ومعناه : الذي أحكم»[3] الأمور وأتقنها . وهنا نستشف معنى آخر للفظة الحكيم ، وهو : الإتقان .

وبالتالي فهذه التعريفات اللغوية لكلمة "الحكيم" تدور حول ثلاثة معاني رئيسية تشترك ومفهوم الأسلوب كمفرد ، ومفهومه كمركب ، ومفهومه اصطلاحا ، وهي :

أولا . المنع : وهذا المنع من وجهين :

أ . مانع من كل إخلال ، وفي منعة من كل فساد ، فهو كلام موزون ودقيق ومنضبط (بليغ وفصيح) مؤدي لمعناه خالي من كل حشو وفساد في اللفظ أو في المعنى.

ب . مانع من دخول غيره فيه ، ولذا يقال للكلام حين يستوفي شروطه ومعناه ويعبر عن المراد بدقة ، إنه : "جامع مانع" ، لأنه يجمع صفات المعَرَّف وأفراده وأجزاءه ، ويمنع من دخول غيرها فيها . وهذا ما يتوافق والمفهوم الاصطلاحي لأسلوب الحكيم ، فهو بتحديده مانع للاشتباه بغيره أو دخول غيره فيه .

ثانيا . الإتقان : أي: مُتقن لا وهن فيه ولا خلل ، كالبناء المتماسك القوي المنجز بدقة كبيرة وعلى علم ومعرفة ودراية ، وفق القوانين المطلوبة ، وهذا ما يميز كل كلام بليغ ، بأنه مُتقن فصيح ، ومنه أسلوب الحكيم ؛ لأنه جاء وفق القانون المعتبر في مراعاة مقتضى الحال ، والعدول عن الظاهر لحكمة ما ، ومعنى بلاغي مقصود بدقة .

---

1 . الزَّبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، 31/ 521.

2 . مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، سنة : 1399هـ – 1979م ، 1/ 419 .
والزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس ، 31/ 521.

3 . أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة ، 1/ 540.

ثالثا ـ الإصابة : أي إصابة المقصد وإدراكه، فلا يخطئ المعنى ، ولا يحيد عن الغرض . فيقال : أصاب مراده أي : أدركه وناله . و أصاب كبِدَ الحقيقة، أي : أدرك عينَ الصَّواب، ويقال : أصاب الرجل في قوله : جاء بالصَّواب، ولم يخطئ .

وأسلوب الحكيم ما عدل عن الظاهر إلا لإصابة مقصد محدد ، وغرض معين مراد ، هو في الغالب التنبيه على الأهم والأولى بالحال .

وبعد كل هذه الإفاضة في تقرير المفهوم اللغوي لكل من "الأسلوب" و "الحكيم" ومدى ارتباطهما بالأسلوب الكلامي وإحكامه ، يمكننا أن نقف على مفهوم "أسلوب الحكيم" كمركب لغوي .

ج) . أسلوب الحكيم

سبق وأن أشرنا في المفهوم اللغوي للأسلوب وبخاصة في تعريف الزرقاني ومحمد عبد الله جبر، وكذا من خلال ما وجدنا في تعريف الأسلوب الذي يدور حول معان منها : الامتداد، والاستقامة، الطريق، الفن والمذهب، وكلها تشترك في معنى واحد متقارب يشكل معنى الأسلوب ، وكذلك مع لفظ الحكيم التي تدور معانيه حول : المنع ، والإتقان ، والإصابة ، وكلها توصيف لمعنى الحكيم . لذا نجد أبا البقاء يعرفه بقوله : «أسلوب الحكيم ، هو لغة : كل كلام محكم»[1] .

غير أننا نستطيع استيعاب ما تقدم في المعنى اللغوي لكل من الأسلوب والحكيم لنخرج بتعريف مفاده أن أسلوب الحكيم لغة يعني : «طريقة الكلام المتقنة في التعبير عن المقصود» . وإذا شئنا اختصاره أكثر فنقول : «الطريقة المحكمة في الكلام» .

وبهذا ندرك مدى الارتباط الوثيق بين المفهوم اللغوي، والمفهوم الاصطلاحي لأسلوب الحكيم، فهو من جهة طريقة من طرق الكلام يعبر بها الإنسان عن مراده (أي أسلوب من أساليب

1 . أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت : 1094هـ) الكليات ، أعده للطبع : عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط : 2 ، سنة 1419 هـ ، 1899 م، ص 111 .

القول)، ومن جهة ثانية أن هذا الكلام يتميز بأنه محكم ومتقن ومُبَلِغ للمقصود ومصيب للهدف والغرض الذي قِيل من أجله، وهذا ما ميّز هذا الفن البلاغي عن غيره بأنه وصف بالإحكام، لأنه ورد في كلام الحكيم الخبير كما التمس له ذلك السكاكي .

وأما كيف هو محكم ، حتى يتميز عن غيره من الأساليب البلاغية الأخرى؟ فهذا ما يجيب عنه المفهوم الاصطلاحي لهذا الفن البلاغي.

2 . اصطلاحا :

من خلال دراسة التعريف الاصطلاحي؛ فإننا نجد الكتب التي تعرضت لتعريفه تكاد تكون محصورة في نوعين من الكتب، أولهما كتب المعاجم البلاغية والمصطلحات والتعريفات . وثانيهما الكتب البلاغية المتخصصة في ذلك . ونبدأ بعرض ما جاء في النوع الأول ، ثم نتبعه بالنوع الثاني لأنه هو الذي درس هذا الفن وعني به وتعرض لتفاصيله، وعليه مدار الاعتماد.

جاء في التعريفات للجرجاني (ت: 816هـ) بأن أسلوب الحكيم : «هو عبارة عن ذكر الأهم تعريضا للمتكلم على تركه الأهم»[1]. وهو ذاته ما ذكره الأحمد نكري (ت: ق 12هـ) ، بتغيير كلمة "ذكر" بكلمة "تقديم" ، فقال: «عبارَة عَن تَقْدِيم الأهم تعريضا للمتكلم على ترك الأهم»[2].

وهذا التعريف في الحقيقة لا نستطيع من خلاله أن نميز بدقة مفهوم أسلوب الحكيم، وذلك لأنه يشمل أي نوع من الكلام وأي أسلوب من أساليبه، إذا تحققت فيه هذه المواصفات ، وهي "ذكر الأهم" و"التعريض" بالمخاطَب، وبالتالي يكون واسعا غير منضبط في الدلالة على اختصاصه بأسلوب الحكيم .

---

1 . علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) : التعريفات ، تحقيق : جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1403هـ -1983م ، ص: 23.

2 . القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ) : جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، عرب عباراته الفارسية : حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط: 1 ، سنة : 1421هـ - 2000م ، 1/ 78.

ومع ذلك لو فرضنا أنه يميز أسلوب الحكيم عن غيره فإن هذا التعريف لا يعتبر دقيقا، ولا يشمل أنواع أسلوب الحكيم، فهو لا يعدو كونه توضيحا لسبب الخروج على مقتضى الظاهر، وللهدف الغالب من أسلوب الحكيم ، وذلك بأن التعريض غرض من أغراضه ، ويندرج ضمن نوع من أنواعه لكن لا يشمله كله ، ففي بعض الحالات لا يراد التعريض بالمتكلم ، كما هو في حالة الفكاهة والدعابة التي سنراها لاحقا عند الحديث عن أغراضه .

كما أن المتكلم ليس دائما يُنَبِه على تركه للأهم ، وأيضا ليس في كل حالاته تَرك الأهم ، ولا ما أُلقي عليه دوما هو الأهم ، كما هو الحال في غرض التَخَلُص من الإحراج . مثلا . وإنما يكون ذكر الأهم في الحالات الأغلب ؛ وهو في القرآن والحديث أوكد منه في الشعر والنثر ، ومن هذا المنطلق سيكون ذكرنا لعبارة "التنبيه على الأهم" في طيات البحث من باب حكم الغالب ، ومن باب وروده في القرآن الكريم.

ويعرفه المناوي (ت: 1031هـ) بقوله : «ذكر الأهم تعنيفا للمتكلم على تركه الأهم»[1]. أيضا هذا التعريف كسابقه لا يعدو كونه توضيحا، وليس كل الحالات يراد منها التعنيف، بل قد يراد عكسه، كما هو الحال في التلطف والدعابة، ويكون التعنيف في بعض الحالات كالتهديد مثلا . وبالتالي فإن التعريفات التي اعتمدت عليها كتب المصطلحات والمعاجم والتعريفات تركزت على إبراز بعض أغراضه أكثر من تركيزها على تحديد صورته التي يكون عليها .

ولما نأتي لكتب البلاغة ونقف على ما عرفه به السكاكي (ت: 626هـ) ، نجده مراعيا لكل هذه المؤاخذات ، وقد اكتفى في تعريفه بما لا يمكن الاستغناء عنه ، وبما يبين نوعيه ، ويحدد صورته ، ويميزه عن غيره ؛ حيث يقول : «وهو تلقي المخاطَب بغير ما يترقب ، أو السائل بغير ما يتطلب»[2].

---

1 . زين الدين محمد المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) : التوقيف على مهمات التعاريف ، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت–القاهرة ، ط : 1 سنة : 1410هـ–1990م ، ص: 50.

2 . يوسف بن أبي بكر السكاكي : مفتاح العلوم ، ص: 327.

فهذا التعريف دقيق وشامل ومختصر وموجز ؛ حيث ذكر نوعيه بقوله في النوع الأول : «تلقي المخاطَب بغير ما يترقب» ، وفي النوع الثاني : «أو السائل بغير ما يتطلب» ، وهكذا تلقاه جمهور البلاغيين بالقبول ولا يكادون يخرجون عنه إلا بالشيء القليل ، إما للتوضيح أو الشرح أو البيان كما هو الحال مع الخطيب القزويني (ت : 739هـ) ومن تبعه من البلاغيين بعد ذلك ؛ حيث قال في تعريفه : «هو تلقي المخاطَب بغير ما يترقب ، بحمل كلامه على خلاف مراده ، تنبيها على أنه الأولى بالقصد ، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره ، تنبيها على أنه الأولى بحاله ، أو المهم له»[1].

فنرى من خلال كلامه هذا أنه أورد ما ذكره السكاكي ، وأضاف له في الشطر الأول : (بحمل كلامه على خلاف مراده ، تنبيها على أنه الأولى بالقصد) . وفي الشطر الثاني : (بتنزيل سؤاله منزلة غيره ، تنبيها على أنه الأولى بحاله ، أو المهم له) . وهذه الإضافات تعتبر زيادة عن التعريف ، وذلك لاعتبارات أهمها :

أولا ـ أنها بمثابة شرح وتوضيح وتعليل لبيان القصد من النوعين.

ثانيا ـ ليس دوما يراد منه التنبيه على الأهم أو الأولى بالحال، فذلك جزء من أغراضه، كما سبق وأن ذكرنا .

وبالرغم من هذا فإنه يمكن الاستفادة من هذه الإضافات حين التفريق بينه وبين بعض الأنواع البلاغية الأخرى في تحديد الأغراض، مثل: التورية والقول بالموجب واللغز في الجواب.

وقد حاول محمد بن علي الصامل – وهو من المعاصرين – أن يعرفه بتعريف مختصر ، يجمع نوعيه ، ويوفي بالمقصود فيه وهو : «محادثة المخاطَب أو السائل بغير ما يترقبان مراعاة للأولى بحالهما»[2] .

---

1 ـ جلال الدين القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، 2/ 94.

2 ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد 15 ، ص : 33 .

وهذا التعريف وإن كان من الاختصار والشمول بمكان ؛ إلا أنه يؤخذ عليه أمور منها:

أن اشتراك المخاطَب والسائل في الترقب يوحي كونه نوعا واحدا وليس نوعان ، وإن فصل بينهما بـ "أو" لدلالة التغاير ، لكن هذا التغاير الشكلي حاصل في صنف المتلقين ، وليس في حالهم أو فيما يتلقونه ، فذلك واحد؛ وتفسير هذا الكلام بأن "أو" هنا وردت بمعنى "الواو" فهي (عاطفة غير ناصبة)[1] تحمل معنى الواو ، فلو أبدلناها بالواو لما تغير المعنى ، فإن حلّ أحدهما مكان الآخر كانت النتيجة واحدة ، وأصل أسلوب الحكيم متغاير في المتلقين وفي حالهم وفي الشيء الملقى عليهم . وحتى يتم ذلك فإنه يستلزم أن ترد "أو" بمعنى التفصيل والفصل لتحدث المغايرة الفعلية ، وهو ما رأيناه في تعريف السكاكي و القزويني في استعمالهما لها .

ونجده هو نفسه يقرّ بهذا الوجه ، في تعليقه على اتهام ابن كمال باشا للسكاكي في تقسيمه للأمثلة بين نوعي أسلوب الحكيم ، بأن السائل يمكن أن يدخل ضمن المخاطَب لأنه أعم منه ، فيقول : «والذي أراه أن السكاكي ذكر لكل نوع مثالا ، ولكنه لم يصرح بامتناع صلاحية الآية مثالا للنوع الثاني ، ولذلك يصح جعل إجابة السائل داخلة في تلقي المخاطَب ، لأن السائل يمكن أن يكون مخاطَبا ، لأن تلقي المخاطَب أعم من إجابة السائل من هذا الوجه»[2].

ولكي يزداد الكلام وضوحا، فإن المخاطَب يناسبه الترقب ؛ فنقول :«ترقَّبَ يترقَّب، ترقُّبًا، فهو مُترقِّب .. ترقَّب الشَّيءَ : رقَبَه؛ انتظره وتوقَّعه»[3]. والمخاطَب في حال انتظار وتوقع لردة الفعل، التي قد تحصل وقد لا تحصل، وقد تكون وفق مقصوده وقد تكون بخلافه، فالمخاطَب يتوقع العديد من الاحتمالات، لأنه لم يطلب من المتلقي شيئا، ولذا فالترقب في الغالب مصحوب بنوع من الحذر، والشك، ويريد المخاطَب أن يكون الرد موافقا لمقصوده، ولكن في أسلوب الحكيم يخيب ظنه ويكون غير ما يتوقع، وبخلاف قصده .

1. انظر إميل بديع يعقوب : معجم الإعراب والإملاء ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط : 1 ، ص 124 .

2. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد 15 ،ص : 76 .

3. أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة ، 2/ 923.

وأما السائل فيناسبه التطلب ، فهناك تلازم بين السؤال والطلب ، ف (السؤال لا يقال إلا فيما تَطْلُبُه من غيرك)[1] ، فالسائل يطلب شيئا بعينه من المسؤول ، ويحاول أن يجده عنده ويأخذه منه ، ويكون في الغالب على ما طلبه وأراده . فقد جاء في لسان العرب : «وتطلبه : حاول وجوده وأخذه . والتطلب : الطلب مرة بعد أخرى . والتطلب : طلب في مهلة من مواضع .. وطلب الشيء : طلبه في مهلة، على ما يجيء عليه هذا النحو بالأغلب»[2] .

وبهذا فالتطلب في الغالب يكون مصحوبا بنوع من اليقين والرجاء ، بأن ما يطلبه يجده ، وهذا هو حال الجواب في الحالة العادية ، لكن عند الخروج على مقتضى الظاهر ؛ فإن الجواب يكون بغير ما يتطلب السائل وبخلاف سؤاله ، وهذا هو أسلوب الحكيم .

ومما يؤخذ على هذا التعريف الزيادة في قوله : «مراعاة للأولى بحالهما» ؛ وقد سبق وأن بينا كيفية هذا الأخذ ، ولذا فهذا التعريف لا يعدو كونه صورة مصغرة لتعريف القزويني ، فأخذ من الشطر الأول المخاطَب والترقب ، ومن الشطر الثاني السائل والحال وحذف الباقي .

وسوف يزداد الأمر وضوحا فيما ذكرنا من تعريفات ، وما عليها من مآخذ ، أثناء الحديث عن أنواعه ثم أغراضه ، حين نفصل أثناء شرح الأمثلة وبيان طريقة أسلوب الحكيم فيها بين ما هو من صميم التعريف ، وما هو من الشرح والتوضيح والبيان له، وهذا يجعلنا نتحدث عن أنواعه وهو ما سنتناوله في المبحث الموالي .

---

1. انظر أيوب بن موسى ، أبو البقاء : الكليات ، ص: 581.

2. محمد ابن منظور : لسان العرب ، 1/ 559.

المبحث الثاني : أنواعه

بعد أن وقفنا على مفهوم أسلوب الحكيم في الاصطلاح تبيّن لنا أنه على نوعين ، وهذا ما ذهب إليه البلاغيون جميعا في حديثهم عن هذا الفن البلاغي ، وهما :

1) . تلقي المخاطَب بغير ما يترقب :

وهو مجيء الخطاب دون سؤال وجواب ، حيث يُتلقى المخاطَب بغير ما يتوقع أو يترقب ، بحمل كلامه على غير ما يريد ويقصد، لغرض ما يقصده المخاطِب ، ومن أمثلة ذلك :

ما جاء في الحديث النبوي الشريف ، عن عائشة أم المؤمنين . رضي الله عنها . قالت: «توفي صبي، فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوَلَا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار، فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا»[1].

فكانت . رضي الله عنها . تتوقع بديهة بأن أطفال المسلمين في الجنّة ، وهي قضية مُسَلَّمَة لديها ، إلا أن النبي – عليه الصلاة والسلام – تلقاها بغير ما كانت تتوقع وتحتسب ، وبغير ما كانت تترقب ، فحمل كلامها بخلاف مرادها ، فعدل بالكلام عن مقتضى الظاهر الذي يقتضي أن هؤلاء الأولاد من أهل الجنة ، لأنهم من أبناء المسلمين، ولم يعملوا ما يستوجب أخراجهم من الجنّة، وأحالها إلى أن هذا من علم الله وحده، لا يمكن لأحد أن يطلع عليه فهو من الغيب المستور، وبهذا (نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع)[2]، (وإلا فأطفال المسلمين في الجنة إجماعاً)[3] .

1 . مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): المسند الصحيح (صحيح مسلم) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،4/ 2050.

2 . انظر محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ) أبو زكريا : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط : 2 ، سنة : 1392 هـ ، 16/ 207 .

3 . انظر محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (ت: 1353هـ) ، العرف الشذي شرح سنن الترمذي، تصحيح : محمود شاكر ، دار التراث العربي –بيروت ، ط: 1، سنة : 1425 هـ – 2004 م ، 2/ 388.

فكان في هذا العدول تنبيها لها على أنه كان الأولى بحالها في مثل هذه المسائل الغيبية (هو التوقف)[1] وتفوض الأمر إلى الله .

ومن أمثلته أيضا ما جاء في الحديث النبوي ، أن والد أبي رمثة، جاء إلى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليرى منه خاتم النبوة ، فقال : «أرني هذا الذي بظهرك، فإني رجل طبيب، قال: الله الطبيب، بل أنت رجل رفيق، طبيبها الذي خلقها»[2] .

فقوله : (الله الطبيب) : «أي هو المداوي الحقيقي بالدواء الشافي من الداء .. فرد المصطفى كلامه بإخراجه مدرجا منه إلى غيره يعني ليس هذا علاجا بل كلامك يفتقر إلى العلاج حيث سميت نفسك طبيبا والله هو الطبيب وإنما أنت رفيق ترفق بالمريض وتتلطف به وله»[3].

ولهذا فمقتضى الظاهر أن يقول له انظر إلى الخاتم الذي على كتفي وأحكم عليه ما دمت طبيبا هل هو مرض أم لا؟ ، ولكنه عدل على مقتضى الظاهر ، وحمل كلام والد أبي رمثة على غير مراده وغير قصده ، لينبهه على أنه الأولى به أن يبحث عن صدق نبوة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليؤمن به ويتبعه لا أن يعرف مرضه فيعالجه ، فالذي على كتفه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليس بالمرض الذي يحتاج إلى علاج ، وإنما هو علامة على صدقه ، فكان الأولى بالرجل أن يسلم كي يعالج قلبه بنور الإيمان.

ومن أمثلته في النثر ما وقع بين الحجاج بن يوسف الثقفي والغضبان بن القبعثري[4]؛ حيث: «كان الحجاج قد حبس الغضبان بن القبعثري، فدعا به يوماً وقال: زعموا أنه لم يكذب قط،

---

1 ـ انظر محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت: 1138هـ) كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه ، وتسمى أيضا : حاشية السندي على سنن ابن ماجه ، دار الجيل – بيروت، 1/ 43.

2 ـ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ، أبو داود (ت: 275هـ) ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، 4/ 86.

3 ـ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: 1031هـ) : فيض القدير شرح الجامع الصغير ،المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، ط : 1 ، سنة : 1356 هـ .

4 ـ الحجاج الثقفي من ولاة بني أمية المشهورين . والقبعثري: من رؤساء العرب وفصحائهم وكان من الخوارج.

وليكذبن اليوم، فقال له لما أتي به: سمنت يا غضبان، قال: القيد والرتعة، والخفض والدعة، وقلة التعتعة، ومن يك ضيف الأمير يسمن، قال: أتحبني يا غضبان؟ قال: أو فرقاً خيرٌ من حبين ، قال: لأحملنك على الأدهم، قال: مثل الأمير حمل على الأدهم والكميت والأشقر، قال: إنه حديد، قال: لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً»[1] . وفي كتب البلاغة : «مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب»[2] .

وتفسيره أن «الأدهم : والمراد به القيد، فرأى القبعثري أن الأدهم يصلح للقيد والفرس ، فحمل كلامه إلى الفرس ، وقال : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب فصرف الوعيد بالهوان إلى الوعد بالإحسان»[3] . فهو بهذا حمل كلام الحجاج على غير مراده وبغير ما يترقبه (وكأنه يقول للحجاج من طرف خفي: الأولى بمثلك وهو في هذا السلطان، وهذه الهيئة أن يهب الخيول الدهم لا أن يقيد ويعذب، فإن الانتقام خلق الضعفاء، أما العطاء فهو خلق ذوي السلطان .. قال له الحجاج: إنه الحديد أي أنا أقصد بالأدهم القيد الحديد، فقال له ابن القبعثري: لأن يكون حديدًا خير من أن يكون بليدا، أي: لأن يكون الفرس ذا حدة وقوة، ونشاط خير من أن يكون بليدا فاترًا)[4] . فحمل كلامه مرة أخرى على معنى غير المعنى الذي يقصده.

ومن الأمثلة الشعرية ما ينسب لحاتم الطائي[5] :

أتت تشتكي عندي مزاولة القِرَى *** وقد رأت الضيفان ينحون منزلي

فقلت كأني ما سمعت كلامها *** هم الضيف جدي في قراهم وعجلي

---

1 . القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: 224هـ) : الأمثال ، تحقيق : عبد المجيد قطامش ، دار المأمون للتراث ، ط : 1، سنة : 1400 هـ – 1980 م ، ص: 56 . والحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت : نحو 395هـ) : جمهرة الأمثال ، دار الفكر – بيروت ، 2/ 35.

2 . محمد بن علي السكاكي : مفتاح العلوم ، ص: 328 . وجلال الدين القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، 94/2.

3 . انظر تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري الملقب : ابن حجة الحموي (ت: 837هـ) : خزانة الأدب وغاية الأرب ، تحقيق : عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال-بيروت، سنة 2004 ، 1/ 258.

4 . انظر محمد أبو موسى: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، مكتبة وهبة ، ط : 7 ، ص: 270.

5 . انظر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم ، ص: 327 . جلال الدين القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ، 95/2.

فالمرأة تشتكي التعب الذي تلقاه بسبب خدمتها للضيوف ، وذلك من كثرة تواردهم على البيت ، وكان مقتضى الظاهر أن يسمع الشاعر كلامها ويعينها ليخفف عنها من هذا التعب، ولكنه عدل عن ذلك وحمل كلامها على غير مرادها وعلى غير قصدها ، فقال لها : "هم الضيف جدي في قراهم وعجلي" ، أي كان اللائق بك وهذه حالنا أن لا تطلبي التخفيف وتشتكي من الضيوف ؛ بل تزيدي في خدمتهم ، وتبذلي جهدك في القيام عليهم ، وتضحي من أجل راحتهم ، ما داموا يقصدوننا ويلتمسون الخير عندنا .

ومن أمثلته الشعرية كذلك قول ابن حجاج البغدادي[1] :

قال ثَقَّلْتُ إذ أَتَيْتُ مِراراً *** قلتُ ثَقَّلتَ كاهلي بالأَيادي

قال طوّلتُ قلتُ أوليت طوْلا *** قال أبرمتُ قلتُ حبلَ ودادي

الكاهل : ما بين الكتفين ، فوق العنق . بالأيادي : أي : بالنعم . طولت : أطلت الإقامة ، والطَوْل : التفضل والإحسان ، أبرمت من معانيها : أمللت ، ومن معانيها أحكمت فتل الحبل.

يقول عبد الرحمان حبنكة الميداني : «في البيت الأول أخذ المخاطِب ظاهر كلام صاحبه وحمله على غير مراده به، إذ أراد بالتثقيل ما يحمله المَضِيف من أعباء الضيافة، لكن المُضَيِّف حمله على معنى أن صاحبه ثقل كاهله بأياديه في تكرير زيارته له.

وفي البيت الثاني حمل كلمة "أبرمت" على معنى إبرام حبل الوداد، وقصد المتكلم من "أبرمت" معنى أضجرت وأنزلت الملل، وحمل كلمة "طولت" على معنى أفضلت، أي: أعطيت فضلا، وقصد المتكلم أنه أطال الإقامة»[2].

ومنه قول القاضي الأرجاني[3]:

غالطتني إذ كست جسمي الضنا *** كسوة عرت من اللحم العظاما

1. انظر تقي الدين ابن حجة الحموي : خزانة الأدب وغاية الأرب، 1/ 259 .
2. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ت : 1425هـ) : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، 1/ 498 ، 499.
3. المرجع نفسه ، 1/ 500 .

ثم قالت أنت عندي في الهوى *** مثل عيني صدقت لكن سقاما

«فقبل ظاهر كلامها: "أَنْتَ مثل عيني" لكن حمله على غير ما قصدت إذ ذكر أنه مثل عينها في سقامها، ومعلوم أن السقام في العين يزيدها حسنا»[1].

ونختم هذا النوع بهذه الطرفة الشعرية ، ومنها نخلص للنوع الثاني ، حيث يقول أحدهم[2] :

طلبت منه درهما *** يوما فأظهر العجب

وقال: ذا من فضة *** يصنع لا من الذهب

فنراه قد (تجاهل غرض طالب الدرهم وحمل كلامه على غير مراده موهما بأنه يرد على زعمه بأن الدرهم من الذهب ويبين له أن الدرهم يصنع من الفضة)[3]. وهذا هو تلقي المخاطَب بغير ما يتقرب بحمل كلامه على خلاف مراده ، و(هذه الإجابة تحقق غرضا للمسؤول هو التخلص من طلب السائل)[4] .

2) . تلقي السائل بغير ما يتطلب :

وذلك بتنزيل سؤال السائل منزلة غيره، أي يعدل في الجواب عن السؤال ويجيب عن سؤال لم يسأله السائل ، تنبيها على أنه الأولى أو المهم له أن يسأل عن هذا بدل السؤال الذي طرحه ، أو يزيد في الجواب أو ينقص عمّا يتطلبه السائل ، لحكمة ما أو لغرض بلاغي يقتضيه المقام.

ومن خلال هذا الكلام وقبل أن نذكر الأمثلة المتعلقة بهذا النوع نود أن نبيّن قاعدة ذكرها السيوطي في "الإتقان" من خلالها يظهر هذا النوع من أسلوب الحكيم ، فيقول : «قاعدة في السؤال والجواب : الأصل في الجواب أن يكون مطابقا للسؤال إذا كان السؤال متوجها ، وقد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيها على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك

---

1 . المرجع السابق، والصفحة نفسها.

2 . المرجع نفسه ، والصفحة نفسها.

3 . مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد 15 ، ص : 63.

4 . المرجع نفسه ، والصفحة نفسها.

ويسميه السكاكي: الأسلوب الحكيم ، وقد يجيء الجواب أعم من السؤال للحاجة إليه في السؤال وقد يجيء أنقص لاقتضاء الحال ذلك»[1].

فهذه هي الحالات التي يرد عنها الجواب ؛ ثلاثة منها تمثل أسلوب الحكيم وواحدة منها خارجة عنه ، لأنها عادية ومتعارف عليها ، ونرتبها كالتالي :

أ . مطابقة الجواب للسؤال ، وهذه هي الحالة العادية ولا تدخل ضمن أسلوب الحكيم .

ب . خروج الجواب عمّا يقتضيه السؤال ، والإجابة بجواب آخر قصد تنبيه السائل لما هو أولى بحاله أو لغرض بلاغي آخر .

ج . أن يكون الجواب ناقصا عمّا يقتضيه السؤال لأمر ما ، أو لحكمة ما ، وهذا من العدول في الجواب ، حيث كونُه قد خرج عن الحالة العادية .

د . أن يكون في الجواب زيادة عمّا يقتضيه السؤال مع تضمنه للمطلوب ، وهذا أيضا من العدول عن الحالة العادية . فهذه الحالات الثلاث ، العدول التام أو النقص أو الزيادة تعتبر جميعا من تلقي السائل بغير ما يتطلب ، ولذا فهي تمثل هذا النوع الثاني من أسلوب الحكيم .

ومن أمثلته ما جاء في الحديث النبوي الشريف أن أبا ذر سأل رسول الله عن الصدقة ، فقال: «يا نبي الله، أرأيت الصدقة ماذا هي؟ قال: أضعاف مضاعفة وعند الله المزيد»[2].

فالسائل يسأل عن حقيقة الصدقة، ولكن الجواب عدل عن هذا وجاء بخلاف مراد السائل فبيّن عظم ثوابها عند الله، بأنها أضعاف مضاعفة والله يضاعف لمن يشاء، تنبيها للسائل على أنه كان الأولى بحاله أن يسأل عن ذلك ليرغبه فيها ويزداد إنفاقا، بدل السؤال عن حقيقتها لأنها

---

1 . جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، السيوطي ، أبو الفضل (المتوفى : 911هـ) : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة : 1394هـ/ 1974م ، 2/ 369.

2 . أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله (ت : 241هـ) : المسند ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ، وآخرون ، إشراف : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1421 هـ - 2001 م ، 36/ 619.

معلومة. وشبيه به ما جاء في القرآن عن السؤال عن الصدقة فعدل عن الجواب، كما سنذكره في حينه من الفصل القادم .

ومن أمثلته كذلك ما جاء في الحديث النبوي الشريف عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُسْأَلُ عن الماء يكون في الفلاة من الأرض، وما ينوبه من السباع والدّوابِّ؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان الماء قُلَّتَيْنِ لم يَحْمِلِ الخَبَثَ»[1].

فالسائل يسأل عن نجاسة الماء وطهارته ، والذي يقتضيه ظاهر الكلام أن يكون الجواب من النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله : أن هذا الماء نجس أو طاهر ، وهذا هو الجواب العادي ، لكنه عدل عن ذلك وخرج على ما يقتضيه الظاهر ، وخلاف قصد السائل ليبين الحد الذي إذا بلغه الماء لا تؤثر فيه النجاسة الواردة عليه ، تنبيها على أن اللائق بحالهم وهم أهل بادية وتتوارد على أبارهم السباع والهوام أن يعرفوا الحد والضابط الذي يعرفون به كل ماء وردت عليه نجاسة ؛ وهو بلوغ القلتين . فالإرشاد بهذه القاعدة أولى وأهم لهم من معرفة مجرد أن الماء نجس أو طاهر .

ومن الأمثلة ما ورد عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلا قال: «يا رسول الله، ما يلبس المحرم من الثياب؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يلبس القمص، ولا العمائم، ولا السراويلات، ولا البرانس، ولا الخفاف إلا أحد لا يجد نعلين، فليلبس خفين، وليقطعهما أسفل من الكعبين، ولا تلبسوا من الثياب شيئا مسه الزعفران أو ورس»[2].

---

1 ـ محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ): الجامع الكبير (سنن الترمذي) ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) ، وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط : 2 ، سنة : 1395 هـ – 1975م ، 1/ 99.

2 ـ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت : 256 هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، (صحيح البخاري) ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، وتعليق : مصطفى ديب البغا ، دار طوق النجاة ، بيروت ، ط: 1، سنة : 1422هـ ، 2/ 137.

فجوابه ـ عليه الصلاة والسلام ـ خرج مخرج أسلوب الحكيم ؛ حيث سُئِل عما يلبس المحرم من الثياب ، فأجاب عما لا يلبس ، لأنه لو عدد له ما يلبس لطال به ، فالملبوس لا ينحصر والمتروك منحصر ، فحصر ما يترك ليبين أن ما سواه مباح .

ولذا قيل : «وإنما عدل عن الجواب لأنه أخصر وأحصر وفيه إشارة إلى أن حق السؤال أن يكون عما لا يلبس لأنه الحكم العارض في الإحرام المحتاج لبيانه إذ الجواز ثابت بالأصل معلوم بالاستصحاب فكان الأليق السؤال عما لا يلبس»[1].

كما أن فيه «الزيادة على سؤال السائل فقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فإن لم يجد نعلين فليلبس الخفين، وليقطعهما أسفل من الكعبين ، فهذه زيادة وإنما زاده لعلمه بمشقة السفر وقلة وجود ما يحتاج إليه من الثياب فيه، ولما يلحق الناس من الحفى بالمشي، رحمة لهم وتنبيهًا على منافعهم»[2].

ومن الأمثلة كذلك ما ذكره الجاحظ في "البيان والتبيين" أن رجلا سأل : بلالا مولى أبي بكر رحمه الله وقد أقبل جهة الحلبة، فقال له: من سبق؟ قال: سبق المقربون. قال: إنما أسألك عن الخيل . قال: وأنا أجيبك عن الخير . فالجواب العادي الذي يتلاءم والظاهر أن يقول للسائل : سبق فلان أو سبق الفرس الفلاني ، ولكن تلقاه بغير ما يتطلب ، وعدل عن الظاهر لما هو أولى بحاله وخير له ، بأن يسأل عن الخير ، فذلك أفضل لحاله وأنفع له من السؤال في شيء لا يستفيد منه . قال الجاحظ : «فترك بلال جواب لفظه إلى خبر هو أنفع له»[3] .

---

1 ـ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت : 852هـ) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، إخراج وتصحيح : محب الدين الخطيب ، تعليق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار المعرفة – بيروت، سنة : 1379هـ ، 3/ 402.

2 ـ علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال أبو الحسن (ت: 449هـ) : شرح صحيح البخاري ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط: 2 ، سنة : 1423هـ – 2003م ، 1/ 213.

3 ـ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ ، أبو عثمان (ت: 255هـ) : البيان والتبيين ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، سنة : 1423 هـ ، 2/ 193.

ومن الأمثلة . أيضا . «أنه قيل لشيخ هرم: كم سنك؟ فقال: إني أنعم بالعافية»[1]. فالسائل يسأل عن عمر الشيخ ، وما يتطلبه السؤال هو أن يقول : عمري كذا من السنين ، ولكن الشيخ أجابه بخلاف مراده ، وبغير ما يتطلب ، فعدل في الجواب إلى ما هو أهم وأولى بالسؤال عنه ، وهو العافية والصحة . وهذا هو المهم للكبير الهرم لأنه مظنة الضعف .

وشبيه بهذا أنه «سُئِل أحد العمال ما ادخرت من المال؟ فقال: لا شيء يعادل الصحة»[2]. (فلم يجب السائل وفق ما طلب ، وإنما أشار إلى أنه ينعم بصحة لا يعادلها شيء وهذا هو الأهم والأولى)[3].

ومن أمثلة هذا النوع البديعي أيضا أنه «قيل لتاجر : كم رأس مالك؟ فقال : إني أمين ، وثقة الناس بي عظيمة»[4] . «ففي هذا المثال كان رد التاجر حكيما ، ولم يجب بما يترقبه السائل ، لأن السائل يسأل التاجر عن كمية رأس ماله ، فرد عليه التاجر بإجابة سؤال لم يسأله أو كان ينبغي أن يسأله ، إذ بين له أن ثروته كونها بأمانة ودليل ذلك ثقة الناس فيه عظيمة»[5] .

وشبيه به ما وقع بين الخليفة المنصور وأحد الرجال ؛ حيث قال له المنصور: «ما مالك؟ قال: ما يكف وجهي عن المسألة ويعجز الصديق، قال لقد لطفت في المسألة»[6].

وأمثلة هذا النوع كثيرة وما ذكرناه فيه غنية ، وسوف نذكر بعض النماذج في المبحث القادم ، ولذا نختم بمثال من الشعر، حيث يقول الشاعر[7] :

جاءني ابني يوما وكنت أراه *** لي ريحانة ومصدر أنس

---

1. علي الجارم و مصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، دار المعارف، القاهرة ، سنة : 1999 م ، ص: 296.
2. المرجع نفسه ، ص: 297.
3. انظر مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد 15 ، ص : 64.
4. أحمد حسن المراغي : علم البديع ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1411 . 1991 ، ص : 107 .
5. المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .
6. انظر على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت: 685هـ) : المقتطف من أزاهر الطرف ، شركة أمل، القاهرة ، سنة : 1425 هـ ، ص : 174 .
7. انظر علي الجارم و مصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، ص: 298.

قال ما الروح؟ قلت إنك روحي*** قال ما النفس؟ قلت إنك نفسي

إن في هذين البيتين سؤالان «من الابن لا يمكن أن يدرك معنى الإجابة عنهما ، لو كانت مطابقة للسؤال ، وخروج الأب في إجابتيه كان موفقا ؛ لأنه أشعر الابن بمنزلته دون أن يضعه في معمعة الصراع المعنوي ، فلا يدرك المراد ، ودون أن يهمل إجابته ، وهذا من إجابة السائل بغير ما يطلب .. كما يمكن في الوقت نفسه أن يكون توجيها للابن ، لإشعاره بأن معرفته لمنزلته في نفس أبيه ، أوْلى وأهم من سؤاله عن حقيقة الروح أو النفس»[1] .

وبعد كل هذه الأمثلة وهذه التوضيحات لأنواع أسلوب الحكيم ، كان لازما أن نشير في آخر هذا المبحث إلى أن العدول الذي رأيناه في كلا النوعين من أسلوب الحكيم لا يخلو من غرض بلاغي ، الشيء الذي دفع بالمخاطِب بأن يتلقى المخاطَب بغير ما يترقب ، والسائل بغير ما يتطلب ، وهذا ما سنفرده بالحديث في المبحث الموالي.

---

1 . مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد 15 ، ص : 63.

المبحث الثالث : أغراضه

الحديث عن الأغراض البلاغية من الأهمية بمكان في الدرس البلاغي ، وهذا يتطلب منّا عند بحث أي جانب بلاغي في كلام رفيع من كلام البلغاء السعي لاستجلاء الغرض الفكري من ورائه نظرا لأهميته ، ولا نكتفي بمجرد الإشارة إليه .

ومن هنا يأتي دور الباحث في المجال البلاغي في التنبيه إلى الأغراض البلاغية المستوحاة من الكلام البليغ والمؤدية إليه، لبيان أهميته وقيمته البلاغية ، ولتكون مَعْلما هاديا يهتدي به منشئ الكلام، فيتحرى بذلك ما هو أبلغ وأجمل ، قدر استطاعته في التماس مستويات الجمال وتذوق دقائق المعاني ، قصد التأثير في المخاطَب .

وأسلوب الحكيم كفن من فنون البلاغة له العديد من الأغراض البلاغية صبغته بلون من السحر ، وكسته بحلة من الجمال ، وأغدقت عليه بنوع من البهاء والجاذبية ، فأعطته قيمة بلاغية كبرى ، جعلت المخاطَب يلين له ويتأثر به .

وللعلم فإنه من خلال البحث والتنقيب فيما وقع بين يديّ من كتب البلاغة لم أجد سوى بعض الإشارات العابرة غير المقصودة عن الأغراض البلاغية للأسلوب الحكيم ، وذلك أثناء الشرح والتوضيح ، أو التنبيه عليها دون التعرض لها بالتمثيل والتبيين ، كما فعل عبد العزيز عتيق في كتابه "علم المعاني والبيان والبديع" ، حيث قال : «كان يستعمله العرب لأغراض مختلفة كالتظرف أو التخلص من إحراج السائل ، أو تقديم الأهم ، أو التهكم»[1] .

1 . عبد العزيز عتيق : علم المعاني والبيان والبديع ، ص : 601 .

ونفسه ما كان من أحمد عبد المطلب في كتابه "معجم المصطلحات البلاغية وتطورها" ، حيث قال : «وكان مثل هذا الأسلوب يستعمل للتظرف أو التخلص من إحراج السائل»[1].

ولم يزيدوا على كلامهم هذا شيئا . ولهذا سأبذل جهدي في استقراء بعض الأغراض المهمة منه ، والتمثيل لها وتوضيحها ، كما سأحاول أن لا أعيد نفس الأمثلة التي ذكرتها في المبحث السابق ، إلا ما دعت إليه الحاجة ، حتى لا نحدث السآمة أثناء القراءة ، ولا نجتر نفس النماذج المتداولة ، ولنجلي أكبر قدر ممكن من أمثلته ونماذجه ، مع التنبيه على أن المثال الواحد قد يتجاذبه غرض أو أكثر ، ولكني سأركز على الغرض الأظهر حسب ما يبدو لي من ذلك .

1 . التنبيه على اللائق والأهم :

وهذا الغرض لا تكاد تجد متحدثا عن أسلوب الحكيم إلا وأشار إليه ، لكن لا يتحدثون عنه كغرض بلاغي ؛ بل يجعله البعض من صميم التعريف ، والبعض يجعله من الشرح والتوضيح ، كما سبق وأن بيّنا ذلك في التعريف الاصطلاحي ، ونحن هنا نضعه في مكانه اللائق به كغرض مهم من أغراض هذا الفن البديعي . وقد خصصنا له الأمثلة من الحديث النبوي الشريف ، لأنها أظهر وأبلغ في تبيّين المقصود والدلالة عليه .

عن أنس بن مالك : «أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ قال: وما أعددت لها ؟ ، قال : لا شيء (أي ما هيأت لها شيئا من الطاعات) ، والله إني لقليل الصيام والصلاة وإني لأحب الله ورسوله ، قال: إنك مع من أحببت (يعني إن حبك في الله بلغك إلى مرافقة من تحبه وإن كنت قليل العمل)»[2] .

---

1 . أحمد عبد المطلب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ص : 119 ، 120 .

2 . مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي : الموطأ (رواية محمد بن الحسن) ، تحقيق : تقي الدين الندوي ، دار القلم – دمشق ، ط / 1 ، سنة : 1413 هـ – 1991م ، 3/ 420.

فالرجل يسأل عن موعد قيام الساعة ، أي في أيّ وقت تقوم القيامة ، وإجابته ـ عليه الصلاة والسلام ـ كانت بغير ما يتطلب السائل ، وهي عبارة عن سؤال وجهه للرجل بغرض تنبيهه عمَّا هيئ لهذا الموعد الجلل من الأعمال الصالحة ، لأنه كان اللائق به والأهم له أن يصرف عنايته في الاستكثار من الحسنات ، بدل الاشتياق لوقت الساعة من غير إعداد لها ، فخروج الجواب عما يقتضيه الظاهر مراعاة لحال السائل ، وأن هذا هو الأولى به.

ومن أمثلة هذا الغرض ما جاء عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: «استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد، فقال: جهادكن الحج»[1]. فقد كان جوابه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بغير ما تتطلب عائشة ـ رضي الله عنها ـ لأنها لم تسأل عن حكم الجهاد ، ولا نوع الجهاد الذي يمكن أن تقوم به المرأة ، وإنما تسأل هل يخرجن للجهاد أم لا ؟ ، والجواب المطابق لمقتضى الظاهر أن يقول لها : أخرجن للجهاد ، أو لا تخرجن. فجاء الجواب بخلاف الظاهر وعدل للأهم واللائق بهن كأمهات للمؤمنين وقد أمرن بالستر والمخاطبة من وراء حجاب ، بأن الجهاد ليس بواجب عليهن ، ولذا أرشدهن إلى نوع آخر من الجهاد يليق بمقامهن وهو الأولى بحالهن وهو جهاد الحج .

ولهذا في قوله : «جهادكن الحج» لا يعني أنهن لا يتطوعن به ؛ وإنما بغرض توجيههنّ إلى الأفضل واللائق، بأن يجاهدن بأداء فريضة الحج ، فهن لسن من أهل القتال ، ولا قدرة لهن عليه ، ولا استطاعة عندهن للقيام به ، وليس للمرأة أفضل من الاستتار وترك مباشرة الرجال بغير قتال ، فكيف في حال القتال التي هي أصعب ، والحج يمكنهن فيه مجانبة الرجال والاستتار عنهم ، فلذلك كان هو اللائق بهن .

ومن الأمثلة ـ أيضا ـ ما رواه ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: «لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ ، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: أنزلت

---

1 ـ محمد بن إسماعيل البخاري : المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،4/ 32 .

في الذهب والفضة، لو علمنا أي المال خير فنتخذه؟ فقال: أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه»[1].

فالسؤال كان عن نوع المال الذي سيتخذونه بدل الذهب والفضة ، والمطابقة له تقتضي أن يُجَابوا بتحديد أنواع من الأموال غير الذهب والفضة ، ولكنه عدل في الجواب ، وخرج عن مقتضى الظاهر ، وتلقاهم بغير ما يتطلبون ، بغرض تنبيههم للائق بهم كمسلمين والأهم لهم كمؤمنين ، وهو أن لا يجعلوا الدنيا وحرثها أكبر همهم ولا منتهى غايتهم ولا أقصى أملهم ؛ بل الأهم من ذلك للمسلم أن يطلب الآخرة ويسعى لها سعيها ، فيكنز لها من أنواع الأعمال التي تليق بحاله وتجعله من أهل الجنة ، مثل : اللسان الذاكر، والقلب الشاكر، والزوجة المؤمنة التي تعين على الإيمان ، فهذا خير ما يكنز المؤمن .

ونختم غرض التنبيه على اللائق والأهم بهذا المثال لننتقل بعده إلى الغرض الموالي ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا عدوى ولا صَفَرَ ولا هَامَةَ، فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظِّبَاءُ، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فَيُجْرِبُهَا؟ فقال: فمن أعدى الأول؟»[2] .

هذا السائل يسأل عن سبب الجرب الذي يصيب الإبل، والذي في اعتقاده أن الجمل الأجرب الذي اختلط بالجمال المعافاة هو السبب في إصابتها، وكان ينتظر من النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يجيبه بما يعتقد، ويقول له: أنها أصيبت بالعدوى بسبب ورود الأجرب عليها، ولكن عدل في الجواب، فجاء بغير ما يتطلب هذا السائل وبخلاف ما يترقب، بغرض التنبيه على أن اللائق بالمسلم أن يدع هذا الوهم الذي ساد بين العرب في الجاهلية، فرسخ فيهم الاعتقاد الفاسد في

1 . محمد بن عيسى الترمذي : الجامع الكبير (سنن الترمذي) ، 5/ 277

2 . محمد بن إسماعيل البخاري : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، 7/ 128.

العدوى، وغفلوا عن مسبب الأسباب وهو الله، لذا قال له: «فمن أعدى الأول؟». وهذا السؤال يستلزم أن التسلسل في التحديد من بعير لآخر حتى نصل إلى البعير الأول الذي أصابه الجرب بسبب خارج عن العدوى ، وحينها ندرك أن الجميع قدَّر الله عليهم الإصابة وليس هناك سبب آخر غيرها ، وبهذا الجواب تبطل الشبهة عند السائل ومن حوله ، وتزول العدوى الجاهلية التي يدعونها ، فيعتقدون في مسبب الأسباب ، ويؤمنون بالقضاء والقدر ، وهذا هو اللائق بهم بعد اعتناقهم الإسلام .

2 . التَّخَلُصُ :

وهو . أيضا . من الأغراض المهمة التي يصبو إليها المخاطِب للتَخلُّصِ من حرج السؤال ، فالسائل قد يسأل عن شيء ولا يريد المسئولُ أن يجيبه عنه ، لسبب ما ، كأن يخشى العاقبة أو يخاف كشف الأسرار أو يراه يسأل من باب الفضولية وغير ذلك ، فيضطر للتخلص من الإجابة ، ويخرج من الحرج عن طريق هذا النوع البلاغي .

ومن أمثلته أنه لما «توجه خالد بن الوليد . رضي الله عنه . لفتح الحيرةِ أتى إليه عبد المسيح بن بقيلة الحيري من قِبَل أهلها وكان رجل ذا تجربة، فسأله خالد حين حضر بين يديه: أين أقصى أثرك؟ قال: ظهر أبي، قال: ومن أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: علام أنت؟ قال: على الأرض، قال ففيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: فمن أين أقبلت؟ قال: من خلفي، قال: فأين تريد؟ قال: أمامي، قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد، قال: أتعقل؟ قال: نعم وأقيد، قال: أحرب أنت أم مسلم، قال: بل سلم، قال: فما بال هذه الحصون؟ قال: بنيناها للسفيه حتى يجيء حليم فينهاه»[1] .

1 . إحسان عباس : ملامح يونانية في الأدب العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1977م ، ص: 63.

هذه المحاورة في بعض المصادر أطول من هذا بكثير ، ولكن أكتفينا بهذه الرواية ، فالذي يهمنا توضيح غرض التَخَلُص ، والذي ذكرناه يَظْهَرُ التَخلُصُ منه جليّا ، فعبد المسيح يتلقى خالدا بغير ما يتطلب ، فيعدل في الجواب في كل ما طُرِحَ عليه من أسئلة ، ومقتضى الظاهر أن يجيب على كل سؤال بما يتطلبه السائل ، لكنه عدل عن الظاهر للتخلص من الإحراج ، فهو لا يُرِيد أن يُخبِر بالحقيقة ، حفاظا على بلده وأهله.

ومن الأمثلة كذلك ما ذكره المسعودي : «أن الحجاج وجه الغضبان إلى بلاد كرمان ليأتيه بخبر ابن الأشعث، فلما ضرب خباءه هنالك، إذا هو بأعرابي قد أقبل عليه فقال: السلام عليك، فقال الغضبان: كلمة مقولة، قال الأعرابي: من أين جئت؟، قال: من ورائي ، قال: وأين تريد؟ قال: أمامي، قال: وعلام جئت؟ ، قال: على فرسي ، قال: وفيم جئت؟ قال: في ثيابي»[1].

فالغضبان يتلقى هذا الأعرابي بأجوبة تخالف مراده وما يتطلبه ، يقصد من خلالها التَخلُص من أسئلته المحرجة التي لو أجاب عنها لكشف أمره ، لذا يعدل في الجواب بغرض التَخلُص كي لا يُعرف ولا يُكشف أمره ، فهو عين من عيون الحجاج يؤدي مهمة ما ، ويسعى في بلوغ مراده بهذا الأسلوب الحكيم .

ومما يروى في التخلص ما ذكره أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" أن يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج الذي ولاه هشام بن عبد الملك على اليمن : «كان قصيرا ، وإذا وصف بالقصر اغتاظ ، وكان الخياط إذا قال له: يقنعك هذا الثوب ويحتاج فيه إلى زيادة فرح وخلع عليه ، وإذا فضل من الثوب شيء أمر بضربه وحبسه ، وكان له نديم يقال له عبدان . وكان من أطول الناس . فقال له : يا عبدان، أنا أطول أم أنت؟ قال : فوقعت في محنة تحتها السيف، فقلت: أصلح الله الأمير، أنت أطول مني ظهرا، وأنا أطول منك ساقا، فضحك، وقال : أحسنت»[2].

---

1 . المرجع السابق ، ص: 63.

2 . الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، أبو هلال (ت: نحو 395هـ) : الأوائل ، دار البشير، طنطا ، ط : 1 ، سنة : 1408 هـ ، ص: 255.

فكان مقتضى الظاهر أن يقول عبدان للأمير يوسف بن عمر: أنا أطول منك، وهذا هو الجواب العادي، وهو الحقيقة ، لكن في هذا الجواب حرج له ، وفيه خطر على حياته ، وهو يريد أن يرضي الأمير ويسلم من بطشه ، فاقتضى الأمر أن يخرج عن مقتضى الظاهر للتخلص من ذلكم الإحراج الذي قصد الأمير أن يوقعه فيه ، فقال له : "أنت أطول مني ظهرا، وأنا أطول منك ساقا" ، ويقصد بالظهر التحمل لا أنه فعلا أطول منه ظهرا .

وشبيه بهذا المثال ما جاء في قصة الحجاج بن يوسف الثقفي مع المهلب ، والحجاج معروف بقصره ، وأيضا ببطشه ، قال ابن الكوفي : «لما قدم المهلب على الحجاج بعد فراغه من أمر الأزارقة وقتالهم ، أكرمه الحجاج وشرفه وبلغ له الغاية ، قال : فخرج الحجاج يوما أخذا بيد المهلب، حتى إذا انتهى إلى المحراب قام ، ثم قال : يا أبا سعيد أنا أطول أم أنت ؟ فقال : الأمير أطول مني وأنا أشخص منه . أراد بالطول الفضل»[1]. وفي رواية قال : «الأمير أطول عقلاً وأنا أبسط قامة»[2].

بهذه الأمثلة نرى كيف أن أسلوب الحكيم ينم عن فطنة وذكاء فائق لدى صاحبه ، وقدرة كبيرة على التصرف في تبديل أوجه الكلام ، تسعفه في إيجاد إجابة لنفسه أمام أي سؤال مفاجئ قد يضايقه ويحرجه فيكون بمنأى عن ذلك الإحراج وتلك المضايقات ، فيجيب بما لا يتوافق مع توقع السائل وبما لا يصطدم معه ، وهذا قد لا يتاح دوما إلا لمن أتيح له إتقان أفانين الكلام وتمكن من مخارج القول وأوتي سرعة البديهة وقوة الفطنة .

---

1 . المعافى بن زكريا بن يحيى النهرواني (ت: 390هـ)، أبو الفرج: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق:عبد الكريم سامي الجندي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط / 1، سنة : 1426 هـ – 2005 م ،ص: 604.

2 . علي بن محمد بن العباس (ت: نحو 400هـ) ، أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، تحقيق : وداد القاضي ، دار صادر – بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1408 هـ ، 1988م ، 9/ 85.

3 . التَّعْرِيضُ :

التعريض كما جاء في معجم لغة الفقهاء : «هو خلاف التصريح»[1] . أي : «أن تقول كلاما لا تصرح فيه بمرادك منه ، لكنه قد يشير إليه إشارة خفية ، ويمكنك أن تتهرب من التزام ما أشرت به إليه إذا صرت محرجا»[2] . قال ابن الأثير : «وإنما سمي التعريض تعريضا ؛ لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أي: من جانبه، وعرض كل شيء جانبه»[3] . أي من سياقه لا من لفظه .

وقد عدّه البلاغيون من الموضوعات البلاغية ضمن أقسام الكناية[4] ، نظرا لاشتراكهما في خفاء المعنى ، وفرق بينهما البعض وجعله مستقلا[5]، يقول عبد الرحمان حبنكة الميداني : «التعريض: هو طريقة من الكلام أخفى من الكناية، فلا يشترط في التعريض لزوم ذهني ولا مصاحبة ولا ملابسة بين معنى الكلام وما يراد الدلالة به عليه، إنما قد تكفي فيه قرائن الحال، وما يفهم ذهنا بها من توجيه الكلام . كأن يقول الراغب بخطبة امرأة معينة، كل رجل راغب في الزواج يحب أن تكون هذه المرأة زوجة له، تعريضا بأنه يرغب في الزواج منها»[6].

وفي ذات الوقت نجدهم جعلوه غرضا من الأغراض للعديد من الموضوعات البلاغية، يراد منه إيصال المعنى للمخاطَب بطريق خفي وبليغ نظرا لمراعاة الحال من غير تصريح، قال الجرجاني : «ما

---

1 . انظر محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي : معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط/2، سنة : 1408 هـ – 1988 م، ص: 135.

2 . عبد الرحمان حبنكة الميداني : : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ،2/ 152.

3 . ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: 637هـ) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 3/ 57.

4 . انظر السكاكي : مفتاح العلوم ، 1/ 411.

5 . انظر يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: 745هـ) : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، المكتبة العنصرية – بيروت ، ط/1 ، سنة : 1423هـ ، 200/1 .

6 . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، 2/ 127.

يفهم به السامع مراده من غير تصريح»[1]. أو بمعنى آخر : «تضمين الكلام دلالة ليس لها فيه ذكر»[2].

ولذا فهو من الأغراض المقصودة في أسلوب الحكيم ، وخاصة للنوع الثاني منه وهو تلقي السائل بغير ما يتطلب ، فعندما يعدل في الجواب يكون من أغراضه التعريض بالمخاطَب ، ومن أمثلته ما حكاه الأصمعيّ ، قال: «مرض زياد فدخل عليه شريح، فلما خرج بعث إليه مسروق بن الأجدع يسأله: كيف تركت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهي، فقال مسروق: إنّ شريحا صاحب تعريض فسلوه فسألوه؛ قال: تركته يأمر بالوصيّة وينهي عن البكاء»[3].

هذا اللون من أسلوب الحكيم قُصد به التعريض ، بدل المواجهة بالحقيقة المؤلمة ، لكي لا يصدم الناس بسوء حال الأمير ، وأنه لا يتماثل للشفاء ، بل هو للهلاك أقرب ، وذلك من أجل تخفيف فاجعة موته ، وكان مقتضى الظاهر أن يكون الجواب : أن الأمير بخير أو لا ، فعدل بالجواب عن مقتضى الظاهر ، ليظن الناس من قوله أن الأمير تماثل للشفاء والمعافاة ، وأنه أصبح يقوم بشؤون حكمه من أوامر ونواهي كما كان في سابق عهده ، ولكن شريحا قصد شيئا آخر وهو أنه أشرف على الموت ، ولذا هو يأمر في أهله بالوصية وينهاهم عن البكاء ، وهذا المعنى بعيد المنال للوهلة الأولى ويحتاج من المخاطَب استدعاء التفكير وإعادة النظر في الجواب ، حتى يصل بنفسه للمقصود فيكون وقع الفاجعة عليه أخف.

ومن أمثلته : «أن امرأة قصت شعر رأسها ، لتبدو أصغر سنا مما هي عليه ، فقالت لزوجها ، كم سنة صَغَرتُ ؟ فقال لها : صَغَرت في عيني»[4] .

---

1. علي بن محمد الجرجاني : التعريفات ، ص: 62.
2. محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي : معجم لغة الفقهاء ، ص: 135.
3. عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد ، (ت: 276هـ) : عيون الأخبار ،دار الكتب العلمية –بيروت ، سنة : 1418هـ ، 2/ 217.
4. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد 15 ، ص : 65 .

مقتضى الجواب العادي أن يقول : صَغَرت كذا من السنين ، أو لم تصغر ، ولكنه لما كان غير راض بصنيعها ، وهي تحسب أنها أحسنت صنعا في التجمُل له، لم يرد أن يفصح لها بما يصدمها ، واكتفى بالتعريض بدل التصريح ، فقال لها : صَغَرت في عيني ، وهذا يحتمل المعنيين : الرضا والسخط ، وبهذا تلاقها بغير ما تتطلب ، وخالف مقصودها وعبر عن عدم رضاه عن عملها ، بهذه الصيغة المحتملة ، حيث لم يجبها بتحديد ما يتناسب وشكلها من السنوات بعد قص شعرها ، وإنما صرف ذلك إلى أن عملها حط من منزلتها عنده .

4 . التَّلَطُّفُ :

وهو غرض من أغراض أسلوب الحكيم ، ويراد به الوصول للمراد برفق ولين ، جاء في اللسان: «والتَّلَطُف للأمر : الترفق له»[1] . وهذا قد لا يتأتى لكل الناس ، بل هو من خصائصِ ذوي الفطنة ، وسرعةِ البديهةِ ، فصاحبه لا يعدم الحيلة والفطنة والذكاء .

ومن أمثلته : «أن يحيى بن خالد البرمكي ، قال لعبد الملك بن صالح : أنت حقود؟ . فقال: إن كان الحقد عندك بقاء الخير والشر فإنهما عندي لباقيان»[2] . كان الجواب يقتضي أن يقول له : أنا حقود أو غير حقود ، ولكنه عدل في الجواب ، تلطفا معه مخافة بطشه إذ عليه أن يجاريه ولا يصطدم معه مع المحافظة على كرامته وعدم الإقرار بما وجهه له ، لذا نجده لم ينف ولم يوافق ، ولكنه وقف موقفا وسطا وهو أنه فيه الخير والشر ، وهما باقيان في الإنسان ما بقي فيه رمق من حياة ، ولهذا أعجب يحي بجوابه وحسن تلطفه ، فقال له : ما رأيت أحدا احتجّ للحقد حتى حسّنه غيرك.

---

1 . محمد بن منظور : لسان العرب ، 317/9 .

2 . الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، أبو هلال (ت: نحو 395هـ) : الصناعتين: الكتابة والشعر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العنصرية – بيروت ، 1429هـ ، ص: 427.

ومثله ما كان من الغضبان بن القبعثري حين توعده الحجاج بأن يحمله على الأدهم الذي هو القيد ويكون من الحديد ، والغضبان يعرف بطش الحجاج ، وأنه إذا توعد ينفذ ، وخاصة لما قصده ليوقعه في قبضته.

فقد جاء في قصته أنه : « اجتمع ندماء من أهل الشعر والأدب في مجلس شراب، إلى جانب شجرة من أشجار العنب ذات عناقيد مدلاة ، وكان ابن القبعثري واحدا منهم ، يعبث بعنقود عنب مدلى من غصنه، فذكر أحد الندماء "الحجاج بن يوسف" فقال ابن القبعثري وبيده عنقود العنب المدلى من غصنه : قطع الله عنقه وسقاني من دمه .

فأبلغ أحد الوشاة كلمته إلى الحجاج، فاستدعاه وقال له: أنت الذي قلت: قطع الله عنقه وسقاني دمه؟ . قال: نعم، وقد قصدت عنقود العنب الذي كان بيدي . قال له الحجاج: لأحملنك على الأدهم ، أي : لأقيدنك بالحديد»[1] .

فما كان من ابن القبعثري إلا أن يتلطف معه بأسلوب يجعله يلين ويغير توعده ليعفو عنه ، فقال : ، مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب .

فرأى (أن الأدهم يصلح للقيد والفرس ، فحمل كلامه إلى الفرس ، وقال : مثل الأمير يحمل على الأدهم و.. فصرف الوعيد بالهوان إلى الوعد بالإحسان ، وفي هذا ما لا يخفى على المتأدب من حسن التلطف وشدة الباعث على فعل الخير ، إذ لا يليق بمن له همة عالية أن يقال له : مثلك من يفعل الخير، فيقول : لا بل أفعل الشر)[2] .

5 . التَّأَدُبُ :

وقد يقتضي الحال والمقام من الإنسان أن يُنْزِل بعض الناس منزلتهم عندما يكون في حضرتهم تأدبا معهم وإجلالا لهم وتعظيما لمكانتهم، فيلجأ للعدول والخروج على مقتضى الظاهر، ليجيب السائل بخلاف مراده، لأن في إجراء الكلام على الظاهر لا يليق بالمقام ولا يدل على حسن الأدب

1 . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، 1/ 500.

2 . انظر نتقي الدين ابن حجة الحموي : خزانة الأدب وغاية الأرب ، 1/ 258.

مع هؤلاء . من ذلك أنه قيل للعباس بن عبد المطلب: «أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ، قال: هو عليه الصلاة والسلام أكبر مني، وأنا ولدت قبله»[1].

فالسائل يسأل عن الأكبر في العمر، والعباس أكبر سنا من رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومع ذلك فقد عدل في الجواب وتلقى سائله بغير ما يتطلب ، فأراد بالكبر القدر والمكانة لا كبر السن ، وذلك قصد التأدب مع مقام النبوة، فجعل الكبر المسئول عنه صفة معنوية يقصد بها المنزلة والمكانة ورفعة المقام والقدر ، فجعلها لرسول الله ، ثمّ أجاب عن السؤال ببيان أيهما الأسن والأسبق ميلادا ، حتى يستأصل الوهم ويقطع دابر الشك الذي قد يتراود الأذهان بأن المراد غير الذي ورد في الجواب ، وهو ما قد يطرأ على السامع من أن المسئول عنه هو المكانة والمنزلة ، وبهذا بادر بإثبات المكانة والقدر لرسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأجاب عن السؤال بأنه هو الأسن من حيث العمر بكل أدب .

ومما حكاه الجاحظ : «أن سعيد بن مرة الكندي ، حين أتى معاوية ، قال له : أنت سعيد ، قال : أمير المؤمنين سعيد ، وأنا ابن مرة»[2] . فمعاوية أراد بـ "سعيد" الاسم ، وسعيد أراد به سعادة الحال ، فصرف الإجابة قصد التأدب معه ، فقدم السعادة لأمير المؤمنين بدل نفسه ، والجواب مع مقتضى الظاهر يقتضي أن يقول له : نعم ، أنا هو سعيد ، ولكي يُثبت أنه هو من يقصده أمير المؤمنين لا غيره ، قال : وأنا ابن مرة .

وذكر ـ أيضا ـ : «أنه لما دخل السيد بن أنس الأزدي على المأمون ، فقال: أنت السيد؟ فقال: أنت السيد يا أمير المؤمنين ، وأنا ابن أنس»[3] ، فاستحسن ذلك منه . فلما كانت كلمة السيد دالة على صفة السيادة والرئاسة ، إضافة إلى دلالتها على اسم ابن أنس الأزدي ، آثر ابن أنس

1 ـ عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ) : المحاسن والأضداد ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، سنة : 1423هـ ، ص: 37.

2 ـ المرجع نفسه ، والصفحة نفسها.

3 ـ المرجع نفسه ، والصفحة نفسها.

إثبات تلك الصفة للمأمون تأدبا معه وتقديرا له ، فقال له : "أنت السيد" ، وهذا جواب لا يتطلبه السائل ، بل يتطلب أن يقول له : نعم أنا هو السيد أو لا ، ثم أعقب ذلك بالإجابة عن السؤال بقوله : وأنا ابن أنس ، حتى يثبت أنه هو المقصود.

6 . التَّظَرُّفُ :

جاء في لسان العرب : «والظرّف : الكياسة»[1] ، وهو نوع من تكلف الملاحَةَ والحذاقة . يقال : «فلانٌ يتظرَّف ويتملَّح : يتكلَّف الظرفَ والملاحةَ»[2] . والظرف كما جاء في معاجم اللغة له أوجه مختلفة ، قال ابن منظور : « والظَّرْفُ في اللسان البلاغةُ وفي الوجه الحُسْنُ وفي القلب الذَّكاء»[3]. قال الأصمعي وابن الأعرابي : «الظريف البليغ الجيد الكلام ، وقالا : الظرف في اللسان واحتجا بقول عمر : إذا كان اللص ظريفا لم يقطع معناه ، إذا كان بليغا جيد الكلام احتج عن نفسه بما يسقط عنه الحد»[4] .

ولذا تجد الظريف يحبُّ النَّاسُ مجلسَه حين يتظرف ، ويقصدونه ليتمتعوا بتظرفه ، وما أجمل ما قاله الوشاء في كتابه "الظرف والظرفاء" عن الظرف : «واعلم أن الظرف ليس بمستغنى عنه، ولا هو مما يخل منه، ولا يعنف فيه صاحبه، ولا يفند عليه طالبه، بل هو أنبل ما استعمله العلماء وصبا إليه الأدباء وتزينوا به عند أَوِدَّائِهِم (أحبائهم وأصحاب مودتهم) ، وتحلوا به عند أخلائهم (الأصدقاء الخلص) ، وربما تكلفه قوم ليس من أهله فظرف، وعاناه فلطف، وأنه من المطبوعين أحسن منه من المتكلفين، وللمتكلف علامات تظهر في حركاته وتبين في لحظاته، لا يسترها بتصنعه، ولا تتغيب بتستره، وإن المطبوع على الظرف ليشهد له القلب، عند معاينته، بحلاوته، وتسكن النفس عند لقائه إلى مجالسته، وتصبو إلى محادثته، وترتاح إلى مشاهدته، وهو بين في شمائله، ظاهر في

---

1 . ابن منظور : لسان العرب ، 9/ 228.

2 . أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، 2 / 1434 .

3 . الأزهري تهذيب اللغة ، 12/ 302 .

4 . محمد بن أحمد الأزهري : تهذيب اللغة ، 12/ 302 . ومحمد ابن منظور: لسان العرب ، 14/ 268 .

خلائقه،بين في منطقه، غير مستتر عند صمته، دلائله واضحة في مشيته وزيه ولفظه، يستدل عليه بظاهر حركة الملاحة دون اختبار باطن الحلاوة»[1] .

ولهذا فالتظرف قد يلجأ إليه البعض لإظهار كياستهم وحذاقتهم في قدرتهم على توظيف الألفاظ والمعاني بغير ما يقصدها المتكلم ، وهو موجود في واقع الناس ويتعمدونه ، وهذا ما يتعلق بجانب أسلوب الحكيم الذي نحن بصدده .

من أمثلته قالوا : «كان الحطيئة يرعى غنما له، وفي يده عصا. فمر به رجل ، فقال: يا راعي الغنم ما عندك؟ ، قال: عجراء (العصا كثيرة العقد) من سلم (نوع من الشجر) يعني عصاه. قال: إني ضيف . فقال الحطيئة: للضّيفان أعددتها»[2]. فالسائل إما أنه يسأل عمّا عند الحطيئة من مأكل أو مشرب ، أو ما عنده من أخبار ، وهذا ما يجري بين أهل البداية حين يلتقون ، ولكن الحطيئة أجابه بغير ما يتطلب ، فأوقع نوعا من المفاجأة عند هذا السائل ، ولهذا تعجب السائل من جوابه ، فقال : إني ضيف ، وكأنه يريد أن يرشده إلى مراده من السؤال ، ولكن الحطيئة يصرّ على موقفه ورده ، ويزيل التوهم من ذهن هذا السائل بأن الأمر لم يلتبس عليه ، وأنه تعمد هذا العدول في الجواب ، فيؤكد له ذلك بقوله : للضّيفان أعددتها ، فخرج كلامه مخرج التظرف إذ المعهود على أهل البادية الكرم وحسن الاستقبال وجودة الضيافة.

7 . الدُّعَابَةُ :

الدعابة ـ أيضا ـ غرض من أغراض أسلوب الحكيم التي نختم بها هذا المبحث ، وهي نوع من الملاطفة في القول بالمزاح وغيره ، جاء في التوقيف على مهمات التعاريف: «الدعابة : بالضم ، اسم لما يستملح من المزاح»[3].

---

1 . محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، المعروف بالوشاء (المتوفى: 325هـ)، الظرف والظرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر ،مطبعة الاعتماد ، ط / 2، السنة : 1371 هـ – 1953 م ، ص: 58.

2 ـ عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين ، 2/ 100.

3 ـ عبد الرؤوف المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف ، ص: 166.

ويراد بها إشاعة البهجة بين الحاضرين أو التَّأنِيس أو التسلية أو الترويح على الأنفس لدى المخاطَبين ، وهي من الأساليب المشاعة في حياة الناس كثيرا ، ويلجئون إليها للترويح عن أنفسهم وخاصة في المناسبات والتجمعات في الأفراح .

ومن أمثلة هذا الغرض : «ما حُكِيَ عن ابن سِيرين أنه كان يمزح ويضحك حتى يسيل لُعابه من شدة المزاح ، وفي يوم وسُئِل عن رجل؟ ، فقال : توفى البارحة»[1] ، «فلما رأى جزع السائل ، قرأ: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ حينَ مَوْتِها والَّتي لمْ تَمُتْ في مَنَامِها﴾[2] ، وقال : وإنما أردت بالوفاة النوم»[3].

فالسائل يسأل عن أخبار وأحوال الرجل ، ولم يسأل عن حياته أو موته ، ولكن ابن سيرين عدل عن الجواب ، ولم يجب السائل عن سؤاله ، وأجابه بإجابة أخرى بغرض الدعابة ، فقال : توفى البارحة ، والسائل لم يكن يترقب هذا الجواب ولا هو يتطلبه ، لذا وقع من نفسه موقع الحيرة والاستغراب أدى به لحد الجزع ، ولما أحس ابن سيرين منه ذلك تلا عليه الآية ليبين له أنه أراد بالوفاة النوم لا الموت.

فهذه بعض الأغراض المهمة لأسلوب الحكيم ، وهناك أغراض أخرى غيرها ، سوف نذكر بعضها في الفصل القادم حين الحديث عنه في القرآن الكريم ، ولكن قبل الانتقال إليه نعطي ملخصا لهذا الفصل في النقاط التالية :

1 . أن المفهوم اللغوي لكل من "الأسلوب" و "الحكيم" له ارتباط بالأسلوب الكلامي وإحكامه ، وقد خلصنا من خلال ذلك إلى أن أسلوب الحكيم في اللغة ، هو : «طريقة الكلام

---

1 . عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد (المتوفى: 276هـ) : أدب الكاتب ، تحقيق : محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص: 15.

2 . سورة الزمر ، الآية : 42.

3 . شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ، أبو عمر (المتوفى: 328هـ) : العقد الفريد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط / 1 ، سنة : 1404 هـ، 2/ 299.

المحكمة في التعبير عن المقصود» . وبهذا يظهر لنا مدى الارتباط بين المفهوم اللغوي ، والمفهوم الاصطلاحي لهذا الفن البلاغي.

2 . أسلوب الحكيم نوعان ، أولهما تلقي المخاطَب بغير ما يترقب ، دون سؤال أو جواب ، وذلك بحمل كلامه على خلاف مراده ، وثانيهما ما يجيء في مقام السؤال والجواب ، وهو تلقي السائل بغير ما يتطلب بالعدول عن الجواب ، تنبيها لهما على الأهم و الأولى بهما ، أو قصد غرض آخر يريده المخاطِب.

3 . لأسلوب الحكيم أغراض بلاغية متعددة ، منها : التنبيه على اللائق والأهم ، والتَخَلُص ، والتعريض ، والتلطف ، والتأدب ، و التظرف ، والدعابة ؛ ولكل منها هدف معين ، سيق بحكمة للتأثير في السامع ، ولإثارة فكره لتنبيهه على اللائق والأولى به ، أو غير ذلك من الأغراض.

الفصل الثاني

الأسلوب الحكيم في القرآن

. المبحث الأول : أنواعه .

. المبحث الثاني : أغراضه .

. المبحث الثالث : ظواهره الأسلوبية .

المبحث الأول : أنواعه

ذكرنا في الفصل السابق في حديثنا عن أنواع هذا الأسلوب – في الدرس البلاغي — أنه على نوعين ، ووضحنا ذلك بأمثلة شعرية ونثرية وأحاديث نبوية ، وأما الآن فسنفرد لهما أمثلة من القرآن الكريم وحده ، ونبدأ بالنوع الأول الذي ، هو :

1) – تلقي المخاطَب بغير ما يترقب :

هذا النوع – كما سبق وأن ذكرنا في أنواعه من الفصل السابق – فإنه يكون بمجيء الخطاب دون سؤال وجواب ، حيث يتلقى المخاطِب المخاطَب بغير ما يتوقع أو يترقب ، بحمل كلامه على غير ما يريد ويقصد، لغرض ما يقصده المخاطِب . ولكن قبل أن نبدأ في التمثيل له ، نشير إلى أننا سوف نعرض أمثلته متتالية حسب ترتيبها في سور القرآن ، ونترك بعض أمثلته عند الحديث عن الأغراض ، لنحدث نوعا من التوازن في عرضها ، ولكي لا نضطر إلى إعادة الأمثلة ، إلاّ ما دعت إليه الحاجة الملحة.

ونبدأ بأول مثال من أمثلته في قوله – تعالى – : ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[1] .

جاء في روح المعاني للألوسي : «عن محمد بن إسحاق أنها نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث، وكان رجلا آدم أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة وكان ينم حديث النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى المنافقين فقيل له: لا تفعل. فقال: إنما محمد صلّى الله عليه وسلّم أذن من حدثه شيئا صدقه نقول شيئا ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا»[2] . فجاء الرد من القرآن بغير ما يترقب هؤلاء ، بأن محمدا أذن كما قلتم ، لكنه على غير ما تقصدون فهو أذن خير لكم .

---

1 . سورة التوبة ، الآية: 61.

2 . شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المحقق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية — بيروت ، ط/1 ، سنة : 1415 هـ ، 315/5 .

قال ابن عاشور : «وهو من الأسلوب الحكيم الذي يحمل فيه المخاطِب كلام المتكلم على غير ما يريده، تنبيها له على أنه الأولى بأن يراد ... فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يبلغهم ما هو إبطال لزعمهم من أصله بصرف مقالتهم إلى معنى لائق بالرسول، حتى لا يبقى للمحكي أثر، وهذا من لطائف القرآن»[1] .

ومن أمثلته ما نزل في المنافقين عندما تخلفوا عن غزوة تبوك ، ثم جاءوا لرسول الله يطلبون العفو والصفح والمجاوزة عما فعلوه من جرم حين تخلفوا في آخر لحظة عن الخروج للقتال ، وتركوا رسول الله يواجه أعداءه من دونهم ، قال تعالى : ﴿**سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[2] .

فهم يطلبون الإعراض عن مؤاخذتهم أي عن عتابهم وتقريعهم على تخلفهم ، ولا يقصدون تطييب خواطر المسلمين ولكن أرادوا التملص من مسبة العتاب ومرارته ، فتلقاهم القرآن بغير ما يترقبون ، وحمل كلامهم على غير ما يريدون ، وأمر بالإعراض عنهم تماما ، لكن لا إعراض رضا ومجاوزة وعدم المؤاخذة كما طلبوا ؛ بل إعراض اجتناب ومقت وسخط ، وإعراض مجافاة وقطيعة وعزلهم عن دائرة المؤمنين الصادقين، كما ينبئ عنه التعليل بقوله : ﴿**إِنَّهُمْ رِجْسٌ**﴾[3].

قال ابن عاشور : «وهذا ضرب من التقريع فيه إطماع للمغضوب عليه الطالب بأنه أجيبت طلبته ، حتى إذا تأمل وجد ما طمع فيه قد انقلب عكس المطلوب فصار يأسا ، لأنهم أرادوا الإعراض عن المعاتبة بالإمساك عنها واستدامة معاملتهم معاملة المسلمين، فإذا بهم يواجهون بالإعراض عن مكالمتهم ومخالطتهم وذلك أشد مما حلفوا للتفادي عنه . فهم من تأكيد الشيء بما يشبه ضده»[4] .

---

1. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (ت : 1393هـ) : التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة: 1984 هـ ، 10/ 242.
2. سورة التوبة ، الآية : 95.
3. السورة نفسها ، والآية نفسها .
4. محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، 11/ 09.

يقول عبد الرحمان حبنكة الميداني : «فإذا حملنا قول الله عز وجل ﴿**فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ**﴾ على معنى الإعراض الدال على المجافاة والقطعية وعزلهم عن دائرة المؤمنين الصادقين، كان من الأسلوب الحكيم، إذ جاء فيه حمل طلبهم على غير ما يقصدون به»[1].

ومن أمثلته ما جاء في "سورة الرعد" : ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾[2].

من سبب نزولها ندرك نوع أسلوب الحكيم فيها ، فقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن عطية العوفي ، قال : «قالوا للنبي – صلى الله عليه وسلم – لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحرث فيها، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح ، أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه ، فأنزل الله : ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً**﴾ الآية»[3].

فمن خلال هذا يتبيّن لنا أن مطالبهم التي طلبوها من رسول الله تمثلت في ثلاثة أشياء :

- إبعاد الجبال ، قصد توسع أراضيهم لأن مكة محصورة بالجبال.
- قطع الأرض ، حتى يسهل عليهم التنقل فهم أصحاب الرحلتين بالشتاء والصيف.
- إحياء الموتى ، حتى يسألوا من مات من أسلافهم الذين قد مضوا من قبلهم .

وهذه معجزات وطلبهم إيّاها على سبيل التهكم والسخرية لا غير ، لذا خاطبهم الله بغير ما يترقبون وبخلاف قصدهم لبيان فساد رأيهم وغلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلالة ، لأنه لو كان كتاب من الكتب السالفة اشتمل على أكثر من الهداية ، وكان مصدرا لإيجاد العجائب والمعجزات لكان هذا القرآن ، ولكنه ليس كذلك ، فهذا القرآن لا يتطلب منه الاشتمال على

---

1. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، 501/1 .
2. سورة الرعد ، الآية : 31 .
3. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) : لباب النقول في أسباب النزول ، ضبط وتصحيح : أحمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ص: 117.

تلك المطالب والمعجزات ؛ فذلك ليس من سُنن الكتب السماوية ، إنما هذه المعجزات من أمر الله ينزّلها متى شاء تأييدا لرسله ، فهو كما أنزل الكتاب للهداية ، قادر على أن ينزل المعجزات تأييدا لرسله وتحديا لهؤلاء المشركين إن شاء ومتى شاء بالصورة التي شاء ، ولا يحتاج سؤالهم إياه بأن ينزلها.

قال ابن عاشور : «فأمر الله نبيئه بأن يقول هذا الكلام إجراء لكلامهم على خلاف مرادهم على طريقة الأسلوب الحكيم ، لأنهم ما أرادوا بما قالوه إلا التهكم ، فحمل كلامهم على خلاف مرادهم تنبيهاً على أن الأولى بهم أن ينظروا هل كان في الكتب السابقة قُرآن يتأتى به مثل ما سألوه»[1] .

ومن أمثلته قوله – تعالى – : ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[2] .

جاء عن ابن عباس – رضي الله عنه – أنه قال: «كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها يقول كفار قريش: والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه، اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه، وأنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه»[3] . قال ابن عاشور : «وهذه الكلمة أحسن ما قاله المفسرون في حاصل معنى هذه الآية»[4] .

فكفار قريش يعتقدون أن محمدا – عليه الصلاة والسلام .– كاذب مختلق على الله ، متقوّل عليه بما لم يقل ، حيث يزعم أنه أمره بشيء من قبل الله ثمّ يزعم أنه أمره بخلافه ، وأنه لا يثبت على أمر ، وأن هذا التبديل أو النسخ والتغير يزلزل من آمن به ، ويقصدون بذلك الطعن فيه وفي القرآن ، وزلزلة قلوب أصحابه لكي لا يثبتوا على تصديقه والإيمان به . فتلقاهم القرآن بخلاف

---

1. محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 144/13.
2. سورة النحل ، الآيات : 101، 102
3. المرجع السابق ، 14/ 281.
4. المرجع نفسه ، والصفحة نفسها.

قصدهم وبغير ما يترقبون وبغير ما يتوقعون وحمل كلاهم على ظاهره بأن التبديل حاصل ، وأن الزلزلة في القلوب حاصلة ، ولكن بنقيض مقصودهم ، فأبطل مرادهم ورد دعواهم عليه أنه مفتر بطريقة النقض ؛ وأيضا رد دعواهم على أن تبديل الآيات يزلزل المؤمنين ، ونقلهم لشيء آخر لم يقصدوه وهو الحديث عن مُنَزِّل هذه الآيات سبحانه وتعالى ، والحكمة التي أرادها من ذلك التبديل في الآيات ، والتي منها تثبيت المؤمنين والتخفيف عنهم ورفع الحرج عليهم وإرشادهم ، وتبشيرهم بالخير بدل زلزلتهم كما توقع الكافرون ، وفي ذات الوقت فإن هذا التبديل والنسخ يزلزل هؤلاء الكفار ويغيظهم ، وبهذا قلب قصدهم ورده عليهم ، قال النسفي في تفسيره : «والتقدير : تثبيتاً لهم وإرشاداً وبشارة للمسلمين ، وفيه تعريضا بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم»[1].

وقال الألوسي : «تعريضا بأنهم متزلزلون ضالون موبخون منذرون بالخزي والنكال واللعن في الدنيا والآخرة وأن عذابهم في خلاف ذلك ليزيد في غيظهم وخنقهم»[2].

وبهذا الأسلوب الحكيم حمل كلامهم على خلاف مرادهم تنبيها على أن المفتري والمتزلزل غير ما عنوه من كلامهم . فإذا كان الله أعلم بما ينزل وهم لا يعلمون ذلك فما بالهم يتهمون محمدا – صلى الله عليه وسلم – بالافتراء لأجل التبديل والنسخ ، والله أراد بذلك مصلحة عباده ، مراعاة لحالهم ولتثبيتهم على دينه ، لا كما يزعم الكفار أن محمدا يخدعهم وهذا التبديل يزلزلهم، وبهذا الأسلوب الحكيم أثبت عكس مقصودهم ، وقلب نقيضه لهم.

ومن أمثلته ما جاء في كتابه "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها"[3] من قول الله – عز وجل – حاكيا قول المنافقين في غزوة بني المصطلق : ﴿**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[4] .

---

1 . عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تحقيق : مروان محمد الشعار ، دار النفائس . بيروت ، سنة : 2005م ، 2/ 232.

2 . شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط / 1 ، سنة : 1415 هـ ، 7/ 468.

3 . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، 500/1 .

4 . سورة المنافقون ، الآية : 8.

فهذا الرد في الآية كان بطريق أسلوب الحكيم ، حيث يتلقى الله المخاطَبين بغير ما يترقبون ، وعلى رأسهم كبير المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول؛ لأنهم قصدوا بالأعز أنفسهم، وبالأذل رسول الله والمؤمنين ، ورتبوا على ذلك الإخراج من المدينة بعد الرجوع من الغزوة ، أي أنهم سيخرجون رسول الله ومن معه حين وصولهم المدينة لأنهم أذلة ويستحقون ذلك ، فتلاقهم القرآن بغير ما يترقبون، وعلى غير ما قصدوا ، فخيّب صنيعهم ، بحمل مقالهم على ظاهره ، بأن هناك عزيز وهناك ذليل ، ومن حق العزيز أن يخرج الذليل ، لكن على خلاف مرادهم ، بأنهم هم الأذلة ورسول الله ومن معه هم الأعزة ، فإن كنتم تريدون بأن يخرج العزيزُ الذليلَ فرسول الله سيخرجكم منها ، تنبيها على أنه كان ينبغي لهم أن يقصدوا هذا المعنى .

قال ابن عاشور : «إن كان الأعز يخرج الأذل فإن المؤمنين هم الفريق الأعز . وعزتهم بكون الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم وبتأييد الله رسوله صلى الله عليه وسلم وأولياءه لأن عزة الله هي العزة الحق المطلقة، وعزة غيره ناقصة، فلا جرم أن أولياء الله هم الذين لا يقهرون إذا أراد الله نصرهم ووعدهم به . فإن كان إخراج من المدينة فإنما يخرج منها أنتم يا أهل النفاق»[1] .

ونختم هذا النوع من أسلوب الحكيم بما جاء في "سورة الكوثر" ، حيث يقول تعالى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾[2] .

قال ابن عباس – رضي الله عنه – : «نزلت في العاص بن وائل ، وذلك: أنه رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخرج من المسجد، وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم، وتحدثنا ، وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس . فلما دخل العاص ، قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ ، قال: ذاك الأبتر، يعني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتر، فأنزل الله تعالى هذه السورة»[3] .

---

1 . محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ، 28/ 249.

2 . سورة الكوثر ، الآية : 3.

3 . علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ، أبو الحسن (ت : 468هـ) : أسباب نزول القرآن ، تحقيق : كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/ 1 ، سنة : 1411هـ ، ص: 494 .

ففي الآية حَمَل القرآن صفة الأبتر التي قالها العاص بن وائل للنبي – صلى الله عليه وسلم – على ظاهرها ، كما رأينا في المثال السابق حين حمل لفظة الأعز والأذل على ظاهرهما ، ولكن بخلاف مراده وبغير ما يترقب ، على أنه هو الأبتر بمعنى الذي لا خير فيه ، دون المعنى الذي عناه هو في لمز النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه لا عقب له ، وبهذا نفاها الله عن النبي تسلية له ، لأن انقطاع الولد الذكر ليس بترا ، ولا أثر له في كمال الإنسان ، وإنما الأبتر من قطع منه الخير .

قال ابن عاشور : «لما كان وصف الأبتر في الآية جيء به لمحاكاة قول القائل: «محمد أبتر» إبطالا لقوله ذلك، وكان عرفهم في وصف الأبتر أنه الذي لا عقب له ، تعين أن يكون هذا الإبطال ضربا من الأسلوب الحكيم وهو تلقي السامع بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أن الأحق غير ما عناه من كلامه»[1] .

وبهذا المثال ننهي النوع الأول من أسلوب الحكيم الذي هو "تلقي المخاطَب بغير مما يترقب" وننتقل للنوع الثاني منه ، والذي هو :

2) – تلقي السائل بغير ما يتطلب :

وهذا النوع يكون بطريق السؤال والجواب ، حيث يتلقى المخاطِب المخاطَب بغير ما يتطلب ، بالعدول في الجواب ، وذلك بتنزيل سؤال السائل منزلة غيره ، أي يعدل في الجواب عن السؤال ويجيب عن سؤال لم يسأله السائل ، تنبيها على أنه الأولى أو المهم له أن يسأل عن هذا بدل السؤال الذي طرحه .

وقبل الشروع في إبراز أمثلة هذا النوع ؛ نود أن نشير إلى أن ما التزمنا به في النوع الأول نلتزم به هنا أيضا ، أي بذكر الأمثلة مرتبة حسب ترتيبها في سور القرآن ، الأعلى هو الأول ثم الذي يليه وهكذا ، ونترك بعض النماذج للحديث عنها في الأغراض لتجنب تكررها . وأول ما نذكره من أمثلته نذكر المثالين اللذين ذكرهما البلاغيون ، وهما آية الأهلة وآية النفقة من "سورة البقرة" .

---

1 . محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ،30/ 577.

فأما آية الأهلة فقوله – تعالى – : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1] .

في الآية نراهم قد سألوا عن الأهلة ، فقالوا : «ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ؟»[2] ، (أي سألوه عن السبب الطبيعي والعلة العلمية لتغيير منازل القمر، فأجاب القرآن ببيان فائدة تغيير منازل القمر ... لأن مثل حالهم لا يعنيهم من تغيير منازل القمر إلا ما ينتفعون به، أما المعرفة العلمية، فإن القرآن الكريم لم يفسر مظاهر الكون تفسيرا علميا كاشفا، وإنما ترك هذه الجهود للبشر، ومعاناتهم العلمية بعد ما هداهم إلى التفكير، وأوجب عليهم النظر في ملكوت الله)[3] .

فاللائق بهم أن يتعلموا المواقيت فهم بحاجة إليها في عباداتهم ، ولذا جاء الجواب بغير ما يتطلبون وبخلاف سؤالهم وقصدهم ، فنزل السؤال عن أحوال الهلال منزلة السؤال عن فائدتها ووظيفتها الحياتية فكانت الإجابة : ﴿**قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾[4] .

قال بهاء الدين البغدادي : «أعلم الله عزّ وجلّ أنه جعل ذلك ليعلّم الناس أوقاتهم فيما فرض عليهم من حجّهم وعدّة نسائهم وجميع ما يريدون علمه مشاهرة، لأنّ هذا أسهل على الناس من حفظ عدد الأيام، يستوي فيه الحاسب وغيره»[5].

وبعد كل هذا زادهم فائدة هم بحاجة إليها ، وهذا ما يقتضيه أسلوب الحكيم – أيضا – لأنها تتعلق بالمواقيت والحج والمقام مناسب لها ، وهو أن حقيقة البر تقوى الله تعالى وليس اجتناب دخول البيوت من أبوابها أثناء الإحرام ، قال حمزة العلويّ : «نُقِل في الحديث أن ناسا كانوا إذا

---

1 . سورة البقرة ، الآية : 189.

2 . جلال الدين القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، 2/ 95.

3 . انظر محمد محمد أبو موسى : خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، ص: 271 .

4 . سورة البقرة ، الآية : 189.

5 . محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت: 562هـ) : التذكرة الحمدونية ، دار صادر، بيروت ، ط / 1 ، سنة : 1417 هـ، 7/ 353.

أحرموا لم يدخل أحدهم بيتا ولا خيمة ولا خباء من باب، بل إن كان من أهل المدر نقب نقبا من ظاهر البيت يدخل منه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة أو الخباء، فقيل لهم: ليس البر تحرّجكم من دخول البيت، ولكن البر من اتقى محارم الله»[1].

وأما آية النفقة فهي قوله تعالى : ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[2] .

قال السكاكي : «سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصرف»[3] ؛ حيث أمر (الله رسوله أن يجيبهم عن الذين ينبغي أن توجه لهم النفقة، إشارة إلى أنه كان ينبغي لهم أن يسألوا عمن ينبغي أن توجه لهم النفقة، أما الشيء الذي ينفقون منه ومقدار ما ينفقون فيعم كل ما يصلح للإنفاق منه، وما وراء حد الزكاة المفروضة هو من التطوع المفتوح الذي لا يسأل عن حد له)[4] .

وبهذا العدول في الجواب تنبيه للسائل على (أنه ليس المهم في الإنفاق هو ما ينفق، وإنما المهم أن يصرف في جهات شرعية، وأن يقع موقعه من البر والنفع)[5]. وعليه (ينزل سؤال السائل منزلة سؤال غير سؤاله لتوخي التنبيه له بألطف وجه على تعديه عن موضع سؤال هو أليق بحاله أن يسأل عنه أو أهم له إذا تأمل)[6] .

ومن أمثلته قوله – تعالى – : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً**﴾[7].

السائلون هم أهل الشرك من قريش ، يطلبون تحديد وقت فناء العَالَم الدنيوي ، عنادا وتحديا وتهكما وسخرية ، استبعادًا لوقوع الساعة ، وتكذيبًا بوجودها ، ومقتضى الظاهر في الجواب

---

1. يحيى بن حمزة العلويّ : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، 2/ 28.
2. سورة البقرة ، الآية : 215.
3. محمد بن علي السكاكي : مفتاح العلوم ، ص: 327 . وجلال الدين القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، 2/ 95.
4. انظر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، 502/1 .
5. انظر محمد محمد أبو موسى : خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، ص: 271 .
6. انظر محمد بن علي السكاكي : مفتاح العلوم ، ص: 327.
7. سورة الأعراف ، الآية : 187.

العادي أن يقول لهم : وقتها كذا ، أي يحدد لهم الوقت المعين لذلك ، ولكن عدل في الجواب بخلاف ما يتطلبون ، لبيان خطئهم في توجيههم السؤال إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بناء على زعمهم أنه عالِم بها ، أو أن العلم بذلك من مقتضيات الرسالة ، فبيّن لهم الخطأ الذي وقعوا فيه في السؤال ثمّ أعلامهم أن المسئول عنها هو الله تعالى ، وبذلك وجَّهَهُم لما هو أهم وأولى من سؤالهم وهو الاستعداد لها ، لأنها تأتي فجأة وعلى حين غفلة .

قال الكرماني : «إن هذا الجواب من الأسلوب الحكيم، أي دعوا السؤال عن وقت القيامة الكبرى فإنها لا يعلمها إلا الله، واسألوا عن الوقت الذي يقع فيه انقراض عصركم فهو أولى لكم ؛ لأن معرفتكم تبعثكم على ملازمة العمل الصالح قبل فوته ؛ لأن أحدكم لا يدري من الذي يسبق الآخر»[1] .

ومن الأمثلة كذلك ، قوله – تعالى – : ﴿**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾[2] .

المستنبئون هم أهل قريش يسألون عن العذاب الذي ينتظرهم مما وعدهم به النبي –عليه الصلاة والسلام– هل هو حق وسيقع أم هو مجرد كلام؟! ، فهذا ظاهر سؤالهم ، ولكنهم في الحقيقة لم يسألوا من أجل معرفة تلك الحقيقة وإثباتها ؛ مما أخبرهم به النبي، فقد تقررت هذه الحقيقة عندهم قبل هذه الآية من نفس السورة ، ولكنهم ينكرون ثبوتها ويسألون استهزاء وإنكارا ودفعا لها ، من غير قصد في طلب الإجابة ، فالشخص السائل الذي دفعهم للسؤال كما ذكره المفسرون هو اليهودي حييَّ بْنَ أخْطَب حين قدم مكة ، وهو من أحبار اليهود ويعلم أن النبي حق ، ولهذا أجيبوا بخلاف مرادهم ، بحمل سؤالهم على ظاهره قصد الإثبات ومع الزيادة في الجواب بغية التنبيه على أنه إذا جاء ما تسألون عنه فلن تفلتوا منه ولن تعجزوا الله في إلحاقه بكم ، فالأولى بكم والأهم لكم أن تقروا بهذه الحقيقة وتستعدوا لها بالتصديق والعمل .

---

1 . محمد رشيد بن علي رضا (ت: 1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة : 1990م ، 9/ 387 .

2 . سورة يونس ، الآية : 53.

قال ابن عاشور : «واستعملوا الاستفهام تَبَالُهًا، ولذلك اشتمل الجواب المأمور به على مراعاة الحالتين فاعتبر أولا ظاهر حال سؤالهم فأجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل كلامهم على خلاف مرادهم تنبيها على أن الأولى بهم سؤال الاسترشاد تغليطا لهم واغتناما لفرصة الإرشاد بناء على ظاهر حال سؤالهم، ولذلك أكد الجواب بالتوكيد اللفظي إذ جمع بين حرف إي وهو حرف جواب يحقق به المسئول عنه، وبين الجملة الدالة على ما دل عليه حرف الجواب، وبالقسم، وإن، ولام الابتداء، وكلها مؤكدات»[1].

ومن أمثلته هذا النوع – أيضا – ما جاء في "سورة الإسراء" من السؤال عن الروح : ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[2]. أخرج الترمذي عن ابن عباس ، قال : «قالت قريش لليهود علمونا شيئا نسأل هذا الرجل ، فقالوا سلوه عن الروح فسألوه فأنزل الله ويسألونك عن الروح»[3] .

فمن سبب النزول ندرك أن قريشا تسأل تعنتا وتكبرا وإفحاما عن حقيقة الروح وبيان ماهيتها، فالروح يعرف كل أحد بوجه الإجمال أنها حالة وموجودة فيه ، فأُمِر النبي – صلى الله عليه وسلم – بأن يجيبهم بخلاف مرادهم ، وعلى غير ما يتطلبون ، فقد سألوا عن الماهية فقط ، فأجيبوا عن محدث هذه الماهية (وهو الله عز وجل) ، وعن مقدار علمهم مع علم الله ، وهذا العدول يرجع لسببين هما :

أولهما : أن الروح من أمر الغيب الذي استأثر الله به ولم يُعْلِم به أحدا ، فعقول الناس قاصرة عن فهم حقيقة الروح ، وكيفية اتصالها بالبدن وكيفية انتزاعها منه وفي مصيرها بعد ذلك الانتزاع ، فأجيبوا بأن الروح من أمر الله، أي أنه كائن عظيم من الكائنات المشرفة عند الله ، ولا تقدروا على بلوغه ، فالأولى لكم عدم السؤال عنه وأن تشتغلوا بما هو أهم مثل الاشتغال بكتاب الله والانتفاع به وتهذيب هذه الروح وربطها بخالقها ، لذا اقتضت الحكمة سد طريق معرفتها .

---

1. محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ،11/ 196.
2. سورة الإسراء ، الآية : 85
3. جلال الدين السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول ، ص : 126.

وثانيهما : (يُعْدَل عن الجواب أصلا إذا كان قصد السائل التعنت ، كما هو في سؤالهم عن الروح)[1] . فالحكمة تقتضي ترك البيان قصد النهي عن السؤال في مثل هذه الأمور الغيبية . قال الألوسي : «وهو من الأسلوب الحكيم»[2] .

ونختم بهذا المثال الذي ورد في "سورة يس" ، في قوله – تعالى – : ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾.

السؤال وارد على لسان الكفار يوم القيامة عندما ينفخ في الصور وتبعث الخلائق من قبورها لأرض المحشر ، حينها يقول هؤلاء وهم في حسرة وندامة : ﴿**مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟**﴾[3] ويقصدون بالمرقد القبر ، وبهذا هم يسألون ليعلموا من الفاعل الذي فعل ذلك ، بحيث أخرجهم من قبورهم وبعثهم أحياء من جديد بعد ما ماتوا؟!.

فمقتضى الظاهر في الجواب العادي حين الإجابة عن سؤالهم : من بعثنا؟ أن يقال لهم : الذي بعثكم هو الله ، ولكن عدل عن ذلك الجواب بطريق أسلوب الحكيم ، فأجيبوا بخلاف مرادهم وبغير ما يتطلبون ، بصرفهم من الباعث الذي بعثهم من قبورهم إلى البعث ذاته الذي توعدهم الله به وما ينتظرهم فيه من أهوال ، فليست القضية مجرد استيقاظ من نوم كما تعتقدون ؛ بل الأمر أكبر من ذلك ، وأيضا (ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ، أن هذا هو البعث الأكبر الذي وعده الرحمن في كتبه المنزلة على لسان رسله الصادقين)[4].

وبهذا صرف الجواب عما يطلبون فلم يجابوا عن الذي بعثهم ، وإنما أجيبوا عن البعث ذاته الذي وعدهم الله به ، والحكمة من العدول في الجواب لأنه يحمل التقريع والتوبيخ وبث الحسرة

---

1 . انظر أيوب بن موسى ، أبو البقاء : الكليات ، ص : 793 .

2 . شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، 8/ 146.

3 . سورة يس ، الآية : 52

4 . انظر نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/1 ، سنة : 1416هـ – 1996م ، 5/ 540.

والندامة على تكذيبهم به في الحياة الدنيا ، وفيه أيضا من التنبيه بأن الذي يهمكم هو السؤال عن البعث الأكبر وما ينتظركم فيه من الهول والفزع دون الباعث ، لأنكم بعثتم فلا داعي للاشتغال بما فات واسألوا عما هو آت .

وبهذه الآية نختم هذا المبحث وننتقل للمبحث الموالي لنقف مع آيات أخرى تحمل أسلوب الحكيم للحديث عن أغراضه وقيمتها البلاغية .

المبحث الثاني : أغراضه

تمهيد

إن من الأصول التي تقوم عليها البلاغة العربية ، مراعاة مقتضى الحال ؛ حيث يكون فيها الكلام مطابقًا للحال ، ولا يتقيد فيها المتكلم بأنماط محددة من التعبير ، ولا تراكيب معينة في الأساليب ، وإنما له الحرية في اختيار التراكيب المناسبة والتعبير الملائم الذي يراه مناسبًا للظرف والحال أثناء عملية التواصل .

ومن صور مراعاة مقتضى الحال أن يخرج الكلام أحيانا عن مقتضى الظاهر، ويعدل عن المألوف مراعاة لمقتضى الحال؛ فقد يقتضي الظاهر مجيء الكلام على صورة ما؛ لكن مراعاة الحال تقتضي مجيئه على صورة أخرى مغايرة؛ ومن هنا جاءت الأساليب البلاغية، ومنها أسلوب الحكيم. يقول السكاكي : «ولهذا النوع أعني إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر أساليب متفننة إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة على ما تنبه على ذلك منذ اعتنينا بشأن هذه الصناعة ، وترشد إليه تارة بالتصريح ، وتارات بالفحوى، ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يتسرب من أفانين سحرها ، ولا كأسلوب الحكيم فيها»[1].

ولذا فإن القيمة البلاغية لأسلوب الحكيم تتمثل في الخروج عن مقتضى الظاهر، مع مراعاة الحال، وهو ما يسمى عند البلاغيين بـ (العدول)، وبه يكون أسلوب الحكيم ذا قيمة بلاغية كبيرة حيث يحقق التأثير في السامع؛ وذلك بتنشيط فكره وإيقاظ حاسة الإصغاء والإدراك لديه؛ لأن إيقاظ الحس وإثارة الملكات من أهم المكونات التي تتوفر في الكلام حين العدول الظاهر .

والسكاكي يرى أنه لا يمكن أن تتحقق القيمة البلاغية للكلام إلا من خلال الخروج عن المألوف ، وذلك : (أن إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر طريق للبلغاء يسلك كثيراً بتنزيل نوع مكان نوع باعتبار من الاعتبارات)[2] .

---

1 . محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم ، ص: 327.

2 . انظر المرجع نفسه ، ص: 329.

وعليه أوضح البلاغيون ضمن تتبعهم لظاهرة الخروج عن مقتضى الظاهر ، أنه لا يكون إلا (لداع من الدواعي البلاغية ذات التأثير في النفوس والأفكار، لما فيها من عناصر فنية إبداعية تتضمن دلالات فكرية ، أو تعبيرات جمالية ، أو إلماحات ذكية)[1] .

فالقيمة البلاغية وذلكم الجمال لأسلوب الحكيم لا يرتقيان إلا حينما ندرك أن اختيار هذا الأسلوب يكمن في أداء غرض بلاغي ما ، ولاعتبارات مقصودة تحمل فكرا زائدا على مجرد اختيار الجواب بطريقة ما مخالفة لمقتضى الظاهر.

فالعدول مهما كان جميلا في ذاته ، أو يحمل عناصر الجمال المعهودة عند البلغاء كالجمال الموسيقي أو اللفظي أو التركيبي ، فهو جثة هامدة إذا كان خاليا من غرض يهدف إليه ، وفكرة ما يثير بها المتلقي ليؤثر فيه ، يقول عبد الرحمان حبنكة الميداني : «فالأعمال اللفظية الشكلية الخالية من القيم البلاغية بمثابة رسوم ساكنة لا حياة فيها ولا حرارة»[2] .

وقبل أن ننطلق في عرض جملة من أغراضه وقيمتها البلاغية ؛ لابد وأن ننبه على شيئين مهمين ونحن ندرسه في القرآن الكريم :

أولهما: وهو أن القيمة البلاغية لأسلوب الحكيم في القرآن الكريم ترتبط ارتباطا وثيقا مع موقعه وتناسقه وتناسبه ومُلاءَمته لما قبله ولما بعده ، مع إدراك وفهم سبب نزول آياته ، وموضوع السورة التي ورد فيها ومقصدها العام ، ولا يمكن الاستغناء عن ذلك ، فكل ذلك من الضروري لفهْمه من خلال السياق الوارد فيه في النص القرآني ، كي لا يُدرس مبتورا عن أصله ، فلصياغة دورها وللسياق دوره في تحديد القيم الكامنة لأسلوب الحكيم في القرآن الكريم.

وثانيهما : أننا سنعرض بعض الأغراض التي سبق وأن تعرضنا لها عند عرض أغراضه في الدرس البلاغي ، ونعدل عن بعضها لأنها لا تكون في القرآن الكريم ، مثل غرض التخلص من الإحراج ، فلا يمكن أن يكون هناك حرج في حق الله – تعالى – حتى يحتاج إلى التخلص منه في

---

1 . انظر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، 478/1 .

2 . المرجع نفسه ، 94/1 .

الرد على أسئلة السائلين لرسله ، فهو لا يستحيي من ضرب المثل ببعوضة فما هو أصغر منها ، فكيف يتخلص من الرد على ما هو دون ذلك؟! ، ومثل هذا غرض الدعابة والتظرف ، لا يمكن أن يكونا من أغراض القرآن ولا من مقاصده ، فهو كتاب هداية في غنى عن هذا ، وعليه سنذكر بعض الأغراض الأخرى التي هي بالقرآن أليق وفيه أظهر ، وبالتالي نقف على أكبر قدر ممكن من أغراض أسلوب الحكيم . مع إعادة التذكير بأن المثال الواحد قد يتجاذبه غرض أو أكثر ، ولكني سأركز على الغرض الأظهر حسب ما يبدو لي .

1 . التنبيه على اللائق والأهم :

ولنبدأ حديثنا بالغرض الأول وهو التنبيه على اللائق والأهم ، وهو من أكثر الأغراض تقريبا لأسلوب الحكيم عموما ، وفي القرآن خصوصا ، ونكتفي بذكر مثالين له ، أولهما قوله – تعالى–: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾**[1] .

قوم ثمود لما أُرْسِل إليهم نبي الله صالح – عليه السلام – تصدوا له وكذبوه ، فقارعهم بالحجج، ولما لم ينفعهم الحجاج توعدهم بالعذاب ، وتأخر العذاب من الله لعلهم يرجعون ويتوبون ، ولكنهم فهموا أن هذا الإمهال والتأخير دليل على كذب صالح ، فاستعجلوا تقديم العذاب وطالبوه بأن يوقعه بهم ، وبهذا طلبوا ما فيه الأذى (السيئة) بدل ما فيه الإكرام والثواب (الحسنة) ، فخاطبهم صالح – عليه السلام – على حسب قولهم واعتقادهم ، ولكن بخلاف مرادهم ، بأن اللائق بهم والاهم لهم بدل استعجال العذاب الذي يُهَدَدُون به ، ويترقبون أن يقع عليهم ، أن يعجلوا بالتوبة والاستغفار ، لأنه إذا جاء لا يمهلهم حتى يرجعوا عن عنادهم .

جاء في "التحرير والتنوير" : «والمعنى : إنكارُ جعلهم تأخيرَ العذاب أمارةً على كذب الوعيد به ، وأن الأولى بهم أن يجعلوا امتداد السلامة أمارة على إمهال الله إياهم فيتقوا حلول العذاب ، أي لِمَ تبْقَون على التكذيب منتظرين حلول العذاب ، وكان الأجدر بكم أن تبادروا بالتصديق

---

1 . سورة النمل ، الآية : 45، 46.

منتظرين عدم حلول العذاب بالمرة . وعلى كلا الوجهين فجواب صالح إياهم جار على الأسلوب الحكيم بجعل يقينهم بكذبه محمولاً على ترددهم بين صدقه وكذبه»[1] .

والمثال الثاني لهذا الغرض قوله – تعالى – : ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[2] .

جاء في الكشاف للزمخشري : «روي أن جماعة من كفار قريش منهم أُبَيٌّ بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاصي بن وائل والوليد ابن المغيرة تكلموا في ذلك، فقال لهم أُبَيٌّ: ألا ترون إلى ما يقول محمد، إنّ الله يبعث الأموات، ثم قال: واللات والعزى لأصيرنّ إليه ولأخصمنه، وأخذ عظما بالياً فجعل يفته بيده وهو يقول : يا محمد ، أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رمّ؟! ، قال – صلى الله عليه وسلم – : نعم ويبعثك ويدخلك جهنم»[3].

فالآيات إذا نزلت ترد على سؤال هذا السائل الذي ينكر البعث ، مع نسيانه بأنه مخلوق من عدم ، ثم عبر مراحل إلى أن صار بشرا سويا ، قال ابن عاشور : «وأُمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول له : ﴿**يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا**﴾ أمر بجواب على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل استفهام القائل على خلاف مراده لأنه لما قال : ﴿**مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ لم يكن قاصداً تطلب تعيين المحيي وإنما أراد الاستحالة ، فأجيب جواب مَن هو متطلبٌ علماً . فقيل له : ﴿**يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾»[4].

ثم جاءت الآيات بعدها تعلمه هذه الحقيقة وتقررها بالمنطق المعقول والمحسوس ، وبهذا أُنْزِل السائلُ المستبعد للبعث ، منزلة من يتطلب علما ، تنبيها له على أنه كان الأجدر واللائق به أن

---

1. محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 19/ 280.
2. سورة يس ، الآيات : 77 – 79 .
3. محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله أبو القاسم (ت : 538هـ) : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط/3 ، سنة : 1407هـ ، 4/ 30.
4. محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 23/ 75.

يسأل عمّا يزيد في إيمانه ويثبته في قلبه ، بدل أن يستحيل وقوع الحياة في الأموات من جديد ، (فالقادر على الابتداء يجب أن يبقى قادراً على الإعادة، وهذا كلام تام وبرهان قوي)[1] .

من كل هذا نرى كيف أن أسلوب الحكيم له وقعه وجماليته المؤثرة التي تأسر الأسماع ، وتشد الألباب ، فيتحقق من خلاله المعنى ويتقوى ، وتتحدد المعاني المقصودة تحديدا قويا تجعل الذهن يتهيأ لها ، وبهذا تكمن القيمة البلاغية لهذا الأسلوب ، وذلك لبلوغ المعنى الذي يقصده المخاطِب لحمل السائل على إعادة النظر في سؤاله ، والتفكير فيه قصد الاندماج في إطار السؤال الجديد المفترض أن يسأل عنه والذي يوافقه المنطق المقبول والتفكير المعقول.

وهكذا نعرف قيمة هذا الأسلوب الذي استعمله القرآن الكريم ، لما له من حُسْن في التحسين وعمق في التأثير ، قصد التنبيه عن اللائق والأهم بتعليم الحقائق ، أو إثبات القضايا الكبرى ؛ كالوحدانية ، والنبوّة ، والبعث والجزاء ، وغيرها من التصورات والمفاهيم التي يسعى القرآن لترسيخها وتوضيحها .

2 . التَّعْرِيضُ :

سبق وأن أشرنا في الفصل السابق عند الحديث عن الأغراض بأن التعريض جعله البلاغيون موضوعا من الموضوعات البيانية، وفي ذات الوقت جعلوه غرضا من الأغراض للعديد من الفنون البلاغية، وهو بخلاف التصريح[2] ، يراد منه إيصال المعنى للمخاطَب بطريق خفي وبليغ نظرا لمراعاة الحال ، وهو في القرآن الكريم كثير، ومنه ما سنذكره في أمثلة الأسلوب الحكيم، وذلك للحاجة إليه بسبب التدافع الحاصل بين الرسل وأقوامهم فيحتاجون أحيانا للتعريض بهم بدل التصريح .

ومن أمثلته قول الله – تعالى – : ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا**

---

1 . انظر محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، أبو عبد الله : مفاتيح الغيب من القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 21/ 354.

2 . انظر محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي : معجم لغة الفقهاء ، ص: 135.

ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] .

هذا من تلقي المخاطَب بغير ما يترقب ، ومناسبة ذلك أنه بعد أن ردَّ الله– تعالى – على المشركين الذين حرموا على أنفسهم ما لم يحرمه الله عليهم من لحوم الأنعام وغيرها ، وبيّن فساد قولهم : «إن الله حرم علينا كذا وكذا»[2] وذكر حجته البالغة عليهم ، ودحض شبهتهم التي احتجوا بها على شركهم بربهم وافترائهم عليه ، أردفه بالأشياء التي حرمها عليهم (تعريضاً لهم بأنهم في حضيض الجهل ولو سمعوا ما يقال لهم ترقوا إلى ذروة العلم وقنة العز)[3] .

فتلقاهم بغير ما يترقبون ، وحمل كلامهم بخلاف مرادهم ، فأثبت التحريم لكن ليس على ما اعتقدوه من محرمات حرموها على أنفسهم ؛ بل ما حرمه الله عليهم ، قصد التعريض بهم على سوء صنيعهم بأنه ليس لهم الحق في التحليل والتحريم فهو من حق الله وحده ، وكان الأولى بهم أن يتعلموا من اليقين الثابت وهو الوحي الكريم ، وهذا الرد على (ما يقتضي الحال بيانه على الأسلوب الحكيم إيذانا بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات)[4].

ومن أمثلة هذا الغرض كذلك ، قوله – تعالى -: **﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾**[5]. تتحدث الآية عن قصة الاعتداء بالصيد يوم السَّبْتِ من بني إسرائيل وقد انقسموا في ذلك إلى ثلاث طوائف :

. أمة كانت غارقة في اعتدائها ، سابحة في ضلالتها وعصيانها ، ولا ترقب الله في أعمالها .

. أمة من بني إسرائيل كانت دائبة على القيام بالموعظة والنهى عن المنكر ولم تيأس .

---

1. الأنعام: 151.

2. عمر بن على ابن عادل الدمشقى الحنبلى ، أبو حفص (ت : 880 هـ) : اللباب في علوم الكتاب ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت ، سنة : 1419 هـ –1998 م ، 8 / 502.

3. انظر شهاب الدين الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، 4/ 297.

4. انظر المرجع نفسه ، والصفحة نفسها.

5. سورة الأعراف ، الآية : 164.

. وأمة كانت قامت بذلك ثم أصابها اليأس من اتعاظ المعتدين وأيقنت أنه قد حقت عليهم كلمة العذاب .

فكان السؤال من اليائسين للذين لم ييأسوا سؤال استغراب ، عن علة استمرارهم في وعظ هؤلاء المعتدين ومدى نفعه وفائدته معهم ، وقصدهم من السؤال هو التخلي عن الموعظة أي لا تعظوا ، فجاء الجواب بحمل سؤالهم على ظاهره ، ولكن بخلاف مرادهم ، بأن موعظتنا تبرئة للذمة عند الله – تعالى – حتى لا نُنْسَب للمفرطين في النهي عن المنكر ، ومقتضى الجواب العادي أن يقولوا نعظهم ليمتثلوا وينجوا من العذاب ، أو الحق فيما قلتم وسوف نتوقف عن موعظتهم ، فكان العدول عن مقتضى الظاهر قصد وعظ اليائسين أنفسهم وتنزيلهم منزلة المعتدين في التخلي عن أداء ما أراده الله منهم كما تخلى المعتدون .

فهذا النوع من أسلوب الحكيم هو من تلقى السائل بغير ما يتطلب ، سيق وفيه نوعان من التعريض :

أولا . التعريض بالمعتدين على عصيانهم وعتوهم وقلة جدوى الموعظة فيهم .

ثانيا . أن (في إضافة الرب إلى ضمير المخاطبين "ربكم" نوعُ تعريضٍ بالسائلين)[1] أنفسهم على تخليهم في أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنه لا عذر لهم عند الله في هذا التخلي.

ومن أمثلته قوله – تعالى – في "سورة القيامة" : ﴿**بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ**﴾[2] .

هذا من تلقي السائل بغير ما يتطلب ، فالسائل يسأل في استهزاء عن تعيين وقت معروف مضبوط بِعَدِّ السِنين ونحوها لحلول يوم القيامة ، فعُدِل في الجواب بحمل كلامه على ظاهره كأنه

1 . انظر شهاب الدين الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، 86/5 .

2 . سورة القيامة ، الآيات : 5 – 12.

جِدٌّ لا الاستهزاء فيه ، وأجيب بغير ما يتطلب بذكر الأهوال بدل تعيين الوقت . قال ابن عاشور : «وفيه تعريض بالتوبيخ على أن فرطوا في التوقي من ذلك اليوم واشتغلوا بالسؤال عن وقته»[1] .

فهذا الأسلوب يكمن وجه حُسْنِهِ وقيمته البلاغية أنه يأخذ ظاهر كلام المُعَرَض بهم ، ولكن بخلاف قصدهم ليحملهم على ما يريده لهم دون التصريح بالخطاب ، عن طريق ذم جهالتهم أو التسفيه برأيهم ، لفرط عنادهم وغلبة الهوى عليهم ، فينقض كلامهم ويدحض حجتهم وينكر عليهم ، مع الزيادة في إفادة المعنى ذاته وثبوته قصد إفحامهم أو تعليمهم أو تنبيههم من وجه خفيّ وأبلغ ، وبذلك يتم توثيقه في النفوس ويكون عليها أوقع ، فيدركوا أهميته وأنه هو الأولى بحالهم .

3 . التَّلَطُفُ :

المراد به الترفق ، جاء في مختار الصحاح : «التَّلَطُّفُ للأمر التَّرَفُّقُ له»[2] ، وعندما نستقرى غرض التلطف في القرآن الكريم نجده في الغالب يكون مع القوم المكذبين ، الذين لم يؤمنوا بما جاء به الرسل – عليهم الصلاة والسلام – وذلك من أجل تليين قلوبهم وترويض نفوسهم وتأليفها بكل لطف قصد هدايتهم وإيمانهم ، والرجوع عن غيّهم وعنادهم ، (فقد كان رسل اللّه الكرام المثل الأعلى لحبّ الإنسانيّة والإنسان، فكان كل رسول يدعو قومه إلى سلوك طرق الهداية والسعادة بتوحيد اللّه وإتباع شرعه، لإنقاذهم من الضّلالة إلى الهدى، ومن الانحراف إلى الاستقامة، ومع ذلك كان القوم يقابلون الإحسان بالإساءة، والمعروف بالإعراض والإنكار، والجحود والعداوة، وأما الرسول فكان يصبر على الأذى والطّرد ...)[3] .

ولكي نجلي هذا الغرض نبدأ بقوله – تعالى – حاكيا عن نوح مع قومه : ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**

1 . محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 29/ 344.

2 . زين الدين الرازي : مختار الصحاح 282/1 .

3 . انظر وهبة بن مصطفى الزحيلي : التفسير الوسيط ، دار الفكر – دمشق ، ط/1 ، 1422 هـ ، 1/ 680.

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] .

هذا مقطع من قصة نوح مع قومه ساقها الله في قالب أسلوب الحكيم ، حيث توهّم القومُ أنّ الحقَّ ما هم عليه ، فلم يتركوا لنوح الفرصة ليبّين لهم أنه رسول من الله ، فنسبوا إليه الضلال وجعلوه متمكّنا منه ، ويريدون بذلك نفي الرسالة عليه ، فنهج معهم نهج أسلوب الحكيم وتلقاهم بخلاف مرادهم ، وبغير ما يتطلبون فنفى أولا الضّلال عن نفسه ، وهذا جاري على ظاهر كلامهم مما يقتضيه الجواب ، ثم سلك معهم طريق الاستطراد بالزيادة على الجواب المطلوب ، قصد إثبات الرسالة لنفسه بأنه رسول الله إليهم ، ولتنبيههم على التأمل فيما أتاهم به ، وفتح بصائرهم بأن تتطلب العلم بما لم يعلموا ، على سبيل التلطف معهم لعل ذلك يبعثهم على تصديقه وقبولِ ما جاءهم به .

قال الألوسي : «وسلك طريق الإطناب لأن هذا الاستدراك زيادة على الجواب إذ قوله: ﴿**لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ**﴾ كان كافيا فيه فيكون من الأسلوب الحكيم الوارد على التخلص إلى الدعوة على وجه الترجيع المعنوي لأنه بدأ بالدعوة إلى إثبات التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى فلما أراد إثبات الرسالة لم يتمكن لما اعترضوا عليه من قولهم: ﴿**إِنَّا لَنَراكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ فانتهز الفرصة وأدمج مقصوده في الجواب على أحسن وجه حيث أخرجه مخرج الملاطفة والكلام المنصف ، يعني دعوا نسبة الضلال إلي وانظروا ما هو أهم لكم من متابعة ناصحكم وأمينكم ورسول رب العالمين»[2].

والكلام نفسه يقال عمَّ ورد في نفس السورة مما جرى مع هود حين أُرْسِل لقوم عاد ، وذلك في قوله – تعالى – : ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا**

1. سورة الأعراف ، الآيات : 59 – 62.

2. شهاب الدين الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، 4/ 389.

قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[1] .

وتكمن القيمة البلاغية في هذا الأسلوب من وراء غرض التلطف المصاحب للاستطراد والإطناب مع الزيادة في الجواب ، قصد المبالغة في استعطاف القوم واستجلاب أفئدتهم ، وتليين قلوبهم ، والوصول لعقولهم ، بالتماس الأسباب المختلفة للهداية ، وسلك كل أنواع الأساليب الممكنة لها ، عن طريق التبليغ والنصح والتعليم والإرشاد والتوجيه ، ومحاولة إثباتها لهم على أقصى ما يمكن بطريقة التلطف ، وهذا هو الأنسب معهم حتى لا يزدادوا نفورا وصدودا واستكبارا ، ولإقامة الحجة عليهم ، ولا يبق لهم عذر عند الله يوم القيامة ، ومع ذلك لم ينفع معهم لغلظ طبائعهم كما قصته لنا سورة نوح .

4 . الصَّرْفُ :

نعطي مفهومه أولا ؛ حيث يقول ابن فارس في مقاييس اللغة : «الصاد والراء والفاء مُعْظَمُ بَابِهِ يدل على رَجْعِ الشَّيْءِ . من ذلك صرفت القوم صرفا وانصرفوا ، إذا رجعتهم فرجعوا»[2]. وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة : «صرَفه عن الأمر: ردَّه عنه»[3] .

وهذا المعنى ذاته هو المراد هنا ، وهو صرف المخاطَبين أو السائلين من الشيء الذي يترقبونه أو يتطلبونه إلى شيء آخر ، وبذلك يُعد من أغراض أسلوب الحكيم التي جاء بها القرآن الكريم. مثاله قوله – تعالى - : **﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾**[4] .

---

1. سورة الأعراف ، الآيات : 65 – 68 .
2. أحمد بن فارس : مقاييس اللغة ، 3/ 342 .
3. أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، 2/ 1290.
4. سورة مريم ، الآيات : 7 – 9

فهذا من نوع تلقي السائل بغير ما يتطلب ، وذلك أن زكريا -– عليه السلام -– يسأل (عن كيفية ما يولد له، والوجه الذي يأتيه منه الولد؟!)[1]، فعُدِل في الجواب من بيان الكيفية إلى بيان هون هذا الخلق على الله ، ثم استطرد في الزيادة لبيان تلك السهولة بأنه خلقه هو أيضا قبل ذلك ولم يكن موجودا ، والذي قَدِرَ على هذا يقدر على ذاك وهو عليه أهون .

وبهذا صرفه من التعجب والاستبعاد في كون مجيء الولد والأسباب العادية ترفض وقوعه ، مع ما في نفسه من الرغبة في حصوله ، إلى حكمة الله وسلطانه ، وعظم قدرته التي لا يعجزها شيء ، ولا تقيدها الأسباب ، فهي أحق بأن يتدبر فيها ، لذا انتبه زكريا لذلك وأمر من الله أن يجعل له آية تدل على حدوث ذلك.

ومثله ما جاء في قصة مريم – عليها السلام – من نفس السورة ولكن مع اختلاف في وجه الصرف ، قال تعالى : ﴿**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**﴾[2] .

فمريم – عليها السلام – تسأل عن الصفة (أي: على أي صفة يوجد هذا الغلام مني، ولست بذات زوج، ولا يتصور مني الفجور)[3] ، فهي لا تتصور وسيلة أخرى لأن يهبها الله غلاما إلا الوسيلة المعهودة بين الذكر والأنثى ، فعُدِل في الجواب من بيان الصفة إلى بيان هون هذا الخلق على الله ، ثم استطرد في الزيادة لبيان حكمة الله وإرادته من وراء هذا الخلق .

وقد كانت (محاورتها المَلك محاولة قصدت بها صرفه عما جاء لأجله، لأنها علمت أنه مرسل من الله ، فأرادت مراجعة ربها في أمر لم تطقه، كما راجعه إبراهيم عليه السلام في قوم لوط، وكما راجعه محمد عليه الصلاة والسلام في فرض خمسين صلاة)[4]. ولكن الله صرفها من النظر في العاقبة

---

1. انظر إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، أبو الفداء (ت : 774 هـ) : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط/ 2 ، سنة : 1420هـ ، 1999م ، 5/ 214.
2. سورة مريم ، الآيات : 20، 21 .
3. المرجع السابق ، 5/ 220
4. انظر محمد بن محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 16/ 81. 82 .

التي تخيفها من جراء كلام الناس ، إلى الحكمة التي أرادها الله تعالى بالناس ، قال ابن عاشور : «توجيه بأن ما اشتكته من توقع ضدّ قولها وطعنهم في عرضها ليس بأمر عظيم في جانب ما أراد الله من هدي الناس لرسالة عيسى عليه السلام ، بأن الله تعالى لا يصرفه عن إنفاذ مراده ما عسى أن يعرض من ضر في ذلك لبعض عبيده ، لأنّ مراعاة المصالح العامة تقدم على مراعاة المصالح الخاصة»[1] .

فنرى من خلال هذا التوارد للقصتين بهذا التتالي وبهذا الترتيب والتدرج يهدف إلى قبول هذه الحقيقة ، وهذا (عملا بمبدأ الانتقال في البيان والتعليم من الأسهل إلى الأصعب، بدأ تعالى بقصة يحيى عليه السلام لأن خلقه من أبوين كبيرين أقرب إلى العادة والتصديق من خلق الولد بلا أب، ثم ذكر قصة عيسى لأنها أغرب من تلك)[2] ، وبذلك تبرز القيمة البلاغية من هذا الغرض بأنه وقع لنكتة ، وهي صرف زكريا ومريم – عليهما السلام – من حالة التعجب والحيرة والاستغراب والاستبعاد ، وهي حالة نفسية طبيعية تقتضيها النفس البشرية في مثل هذه الوقائع ، إلى التذكير بما هو أهم وأكبر من ذلك كله في حقهم ، وهو :

أ – التسليم مع الاطمئنان لمدى حرية القدرة الإلهية وطلاقة إرادتها ، وأنها لا تحتبس داخل السُّنة التي تختارها ، وبذلك تهدأ النفوس المتعجبة وتطمئن الحائرة لتدبير الحكمة الإلهية ، والذين اصطفاهم الله من بين خلقه هم أولى الناس بتقبل ذلك لأنهم رأوا من ملكوت الله ما لا يراه غيرهم ، ولأن الله يمدهم بالآيات المختلفة لثبوت اصطفائهم .

ب – قصد تقبل الواقع الجديد على قناعة ورضا وتسليم ، مع القوة واليقين ، وهذا يبعث في نفوسهم القوة على مواجهة القوم بكل ثبات وعزيمة ، لأنه إذا ضعفت نفوسهم عن تقبل هذه الحقيقة مع مكانتهم من الله وعلمهم به ، فإنها تكون أوهن في تبليغ القوم بعد ذلك ما كلفهم الله

---

1. محمد بن محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 16/ 83 .

2. انظر وهبة بن مصطفى الزحيلي : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ط/2 ، 1418 هـ ، 16/ 68.

به وما حملهم إياه ، ومن كل هذا ندرك القيمة من هذا الغرض ، بأنه ليس مجرد صرف للصرف ؛ بل قصد تقويتهم على المطلوب منهم .

5. الإِبْطَالُ :

جاء في التوقيف على مهمات التعاريف : « الإبطال : إفساد الشيء وإزالته حقا كان ذلك الشيء أو باطلا»[1]. يقال : «أبطل الحُكْمَ ونحوَه : ألغاه، فسخه حقًّا كان أو باطلاً»[2] ، ومنه : «أبطل قولَه: فنّده، دحضه»[3]، ومن القرآن قوله – تعالى – : ﴿**لِيُحِقَّ الحَقَّ ويُبطِلَ البَاطِلَ**﴾[4]. وهذه هي المعاني التي يدور حولها معنى هذا الغرض كما سنبيّنه .

فمن آيات أسلوب الحكيم التي يتجلى فيها هذا الغرض ، قوله – تعالى – : ﴿**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾[5].

فالجواب في الآية كما قال ابن عاشور جاء متفرعا عن : «حكاية استفهامهم بحمله على ظاهر حاله وصرفه عن مقصدهم منه ، وتلك طريقة الأسلوب الحكيم ، وهو: تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده لنكتة، وهي هنا إبطال ما قصدوه من نفي أن تكون السورة تزيد أحداً إيماناً قياساً على أحوال قلوبهم فأجيب استفهامهم بهذا التفصيل المتفرع عليه ، فأثبت أن للسورة زيادة في إيمان بعض الناس وأكثرَ من الزيادة ، وهو حصول الْبَشَرِ لهم . وارتُقِيَ في الجواب عن مقصدهم من الإنكار بأن السورة ليست منفياً عنها زيادة في إيمان بعض الناس فقط بل الأمر أشد ؛ إذ هي زائدة في كفرهم ، فالقِسم الأول المؤمنون زادتهم إيماناً

---

1. عبد الرؤوف المناوي التوقيف على مهمات التعاريف ، ص: 36.
2. أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، 1/ 218.
3. المرجع نفسه ، والصفحة نفسها.
4. سورة الأنفال ، الآية : 8 .
5. سورة التوبة ، الآيات : 124، 125.

وأكسبتهم بشرى ، فحصل من السورة لهم نفعان عظيمان ، والقسم الثاني الذين في قلوبهم مرض زادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون»[1].

ومن أمثلته – أيضا – قوله تعالى : ﴿**قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا**﴾[2] .

قال ابن عاشور : «والاستفهام في ﴿**مَنْ يُعِيدُنَا**﴾ تهكمي . ولما كان قولهم هذا محقق الوقوع في المستقبل أمر النبي بأن يجيبهم عندما يقولونه جواب تعيين لمن يعيدهم إبطالاً للازم التهكم ، وهو الاستحالة في نظرهم ، بقوله : ﴿**الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ إجراء لظاهر استفهامهم على أصله بحمله على خلاف مرادهم ، لأن ذلك أجدر على طريقة الأسلوب الحكيم لزيادة المحاجة»[3].

ومن أمثلته – كذلك – قوله تعالى : ﴿**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**﴾[4] .

فحين ذكر القرآن الكريم عدد خزنة جهنّم ، في الآية التي قبل هذه ، وهي قوله – تعالى – : ﴿**عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾[5] ، (قال أبو جهل : يا معشر قريش ، أما يستطيع كل عشرة منكم

1. محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 11 / 65 .
2. سورة الإسراء ، الآيتان : 50 ، 51.
3. المرجع السابق ، 15/ 128.
4. سورة المدثر ، الآية : 31.
5. سورة نفسها ، الآية : 30.

لواحد منهم فتغلبونهم؟ ، فقال الله : ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إلا مَلائِكَةً﴾ . أي ما جعلناهم رجالا فيأخذ كل رجل رجلا، فمن ذا يغلب الملائكة؟!)[1] .

قال ابن عاشور : «وقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، تتميم في إبطال توهم المشركين حقارة عدد خزنة النار ، وهو كلام جار على تقدير الأسلوب الحكيم إذ الكلام قد أثار في النفوس تساؤلاً عن فائدة جعل خزنة جهنم تسعةَ عشر وهلاّ كانوا آلافاً ليكون مرآهم أشد هولاً على أهل النار ، أو هلاَّ كانوا ملكاً واحداً فإن قُوى الملائكة تأتي كل عمل يسخرها الله له ، فكان جواب هذا السؤال : أن هذا العدد قد أظهر لأصناف الناس مبلغ فَهم الكفار للقرآن . وإنما حصلت الفتنة من ذكر عددهم في الآية السابقة . فقوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ ، تقديره : وما جعلنا ذكر عدتهم إلاّ فتنة ، ولاستيقان الذين أوتوا الكتاب ، وازدياد الذين آمنوا إيماناً ، واضطراب الذين في قلوبهم مرض فيظهر ضلال الضالين واهتداء المهتدين»[2] .

ثم بين الغرض مرة أخرى بأن الجواب سيق : (لإبطال التخرصات التي يتخرصها الضالون ومرضى القلوب عند سماع الأخبار عن عالم الغيب وأمور الآخرة)[3] .

وهكذا مع ما نلمسه في هذا الأسلوب من التأثير في النفس ، وتمكين المعنى في القلب بما لا يحصل بالقول المجرد ، لأن (الشاهد القرآني الكريم وسيلة بلاغية مؤثرة مقنعة عندما يحتمل المعنى غير وجه)[4] ، نلمس أيضا القيمة البلاغية فيه ، بإدراكنا الفرق الشاسع بين القولين وبين التصورين، وبين المفهومين ، عند أهل الإيمان ، وعند أهل الضلال ، كيف كان تفاعل أهل الإيمان مع الآيات والسور وما فيهما من أخبار وتذكير؟ ، وكيف كان تفاعل أهل الكفر معهما ؟ وكيف كان تصديق ويقين أهل الإيمان؟ ، وكيف كان موقف أهل الكفر؟ ، مما يجعل اختلاف الجزاء والنتيجة

---

1 . انظر إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم ، 8/ 269.

2 . محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 29/ 314.

3 . انظر المرجع نفسه ، 29/ 319.

4 . انظر محمد بركات حمدي أبو علي : البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ، دار وائل للنشر ، عمان ، ط/1 ، سنة 2003م ، ص : 36 .

باختلاف مقدماتها ، فيتحول المعنى من مجرد سؤال إلى إبطال قول وتقرير حقائق على خلافه وبنائها على أنقاضه ، فتبعث المخاطَب على الإذعان والإصغاء ، وإعادة النظر في التصور الجديد الذي طرح عليه ، للمسارعة إلى طريق أهل الإيمان والابتعاد عن طريق أهل الضلال .

6 . الإِنْكَارُ :

وهو أيضا من الأغراض التي قُصدت من إجراء أسلوب الحكيم في القرآن الكريم ، وذلك قصد الإنكار على الكافرين والمكذبين ما يصدر منهم في حق الله ورسله ، ومن أمثلته قوله – تعالى – : ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[1] .

هذا من تلقي السائل بغير ما يتطلب ، ومناسبة هذا السؤال أنه لمّا بينت الآية التي قبل هذه بأن تعجيل الوعيد أو تأخيره سواء عند الله إلى جنب الوعيد الأعظم وهو وعيد الآخرة ، جاء سؤال المشركين بغرض الإنكار ، يتطلب تحديد زمن وقوع هذا الوعيد ، فجاء الجواب بخلاف مرادهم وبغير ما يتطلبون بحمل سؤالهم على ظاهره وكأنه مقصود لذاته ، بأنه لا يستطيع لنفسه ضرا ولا نفعا ، فكيف يتسبب في إتيان عذابكم الموعود حسبما تريدون؟! ، وهذا بغرض الإنكار عليهم بأنه إذا تأخر الوعيد أو كنت لا أملكه ولا أعلم زمنه ، لا يحملكم ذلك على إنكاره فهو لا محالة سيأتي ، ثم استطرد في بيان ذلك بأن ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ**﴾ أي : لكل قرن مدَّة من العمر مقدَّرة فإذا انقضى أجلهم ﴿**فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ .

فتكمن القيمة البلاغية هنا في المبالغة في قوة الإنكار عليهم وفي انتفاء تأخر الوعيد وأنه لا محالة واقع بهم مهما أنكروه واختلقوا الدواعي لذلك بأنه تأخر في نظرهم أو أنه لا يملكه ولا يعلمه رسول الله ، فكل ذلك لا يغير في الحقائق شيئا لأنه بيد الله وحده ، وهو الذي قدر لكل شيء أجلا وموعدا . وللإشارة فإن هذا المثال ورد مرات عدة بنفس السؤال مع تغير الجواب حسب السياق ، سنذكر ذلك لاحقا وكل ذلك يبرز القيمة البلاغية لهذا الغرض والأسلوب ذاته .

---

1 . سورة يونس ، الآيات : 48 – 49

ومن أمثلته كذلك قوله – تعالى – : ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا**﴾[1].

الذي قال : ﴿**لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا**﴾ (هو المشرك العاصي بن وائل السهمي أبو عمرو بن العاص ، الذي أنكر وعيد الله تعالى ، وجحد ما جاء به النبي – عليه الصلاة والسلام – يقول خباب بن الأرت : كنت رجلا قينا، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فقال: فإذا أنا متّ ثم بُعثت كما تقول، جئتني ولي مال وولد، قال: فأنزل الله)[2] هذه الآيات ردا عليه بما يناسبه من الإنكار .

جاء في "التحرير والتنوير" : «وجملة ﴿**أَطَّلَعَ الْغَيْبَ**﴾ جواب لكلامه على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل كلامه على ظاهر عبارته من الوعد بقضاء الدين من المال الذي سيجده حين يُبعث، فالاستفهام في قوله : ﴿**أَطَّلَعَ الْغَيْبَ**﴾ إنكاري وتعجيبي .. والمعنى: أأشرف على عالم الغيب فرأى مالا وولدا معدين له حين يأتي يوم القيامة ، أو فرأى ماله وولده صائرين معه في الآخرة ، لأنه لما قال : فسيكون لي مال وولد عنى أن ماله وولده راجعان إليه يومئذ ، أم عهد الله إليه بأنه معطيه ذلك فأيقن بحصوله، لأنه لا سبيل إلى معرفة ما أعد له يوم القيامة إلا أحد هذين إما مكاشفة ذلك ومشاهدته، وإما إخبار الله بأنه يعطيه إياه»[3].

فمن هذا الغرض الإنكاري تتجلى القيمة البلاغية ، وذلك برد اعتقاده الفاسد الذي يدعيه هذا المدعي ، ونسفه من جذوره ، وذلك بأنّه هو الأصحّ منهجا والأسلم تصورا و الأصوب رأيا ؛

---

1 . سورة مريم ، الآيات : 77 – 80 .

2 . انظر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت – 310 هـ) : جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، ط / 1 ، سنة : 1420 هـ – 2000 م ، 18/ 245.

3 . محمد الظاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 16/ 159 ، 160.

والأكثر مالا وولدا والأعز نفرا ، وهو الناجي في الآخرة ، فلا يقع ما حكى عنه بزعمه وغروره، بل سيكتبه الله عليه ، ويكون كل ذلك مصدر عذابه يوم القيامة ، ولن ينفعه ما كسب ولا ما امتلك في الحياة ، وسيخرج من الدنيا فردا لا شيء معه ، كما جاءها فردا لا شيء معه ، فأراد الله تعالى من خلال هذا أن ينبههم على فساد عقائدهم ، وسذاجة مسالكهم ، وبساطة تفكيرهم ، ليرشدهم إلى الأهم والأولى وإلى اللائق بهم .

7 . التَّهَكُّمُ :

من أمثلته أن قريشا كانت تحسب نفسها أنها على الحق ، ورسول الله على الباطل ، وأنها هي الأعلى ورسول الله الأسفل ، وتعتقد أن النصر حليفها وأن الله سيمدها به ، ولذا كانوا يتهكمون بالنبي – عليه الصلاة والسلام – بأنه لو قاتلهم فإن الله سيفتح لهم ، حتى أنهم كانوا على يقين من ذلك ، كما ذكر الألوسي في تفسيره : «أنهم حين أرادوا الخروج – لقتال النبي وأصحابه – تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين وأهد الفئتين وأكرم الحزبين . وفي رواية أن أبا جهل قال حين التقى الجمعان: اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث فأي الدينين كان أحب إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم»[1] .

فطلبوا الفتح من الله لأنهم – حسب نظرتهم – واثقون أنه حليفهم ، وأن الدائرة على المؤمنين، ولكن الله تلقاهم بغير ما يترقبون ، وخالف مقصودهم ومرادهم ، فلما طلبوا مجيء الفتح جاء به على ظاهر كلامهم ، لكن بخلاف مرادهم بغرض التهكم بهم ، وذلك بأن هذا الفتح عليكم وليس لكم ، قال الله لهم : ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[2] .

وهذا من تلقي المخاطَب بغير ما يترقب ، فقد طلبوا من الله أن ينصر أعلى الجندين ، فنصر أعلى الجندين ، ولكن ليسوا هم الأعلى . يقول عبد الرحمن حبنكة الميداني : «فجاء قبول ظاهرة

---

1 . شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، 5/ 175.

2 . سورة الأنفال ، الآية : 19

دعائهم بالنصر ولكن بعد حمله على غير ما طلبوا فيه، لقد طلبوا مجيء النصر فجاءهم النصر للمؤمنين عليهم»[1].

فهو إذا خطاب للمشركين على سبيل التهكم ، بمعنى إن تستنصروا لأعلى الجندين وأهداهما ﴿**فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ**﴾ فالتهكم في المجيء ، زعمتم أنكم الأعلى والأهدى ، فقد جاء النصر للأعلى والأهدى ، وقد جاء للآخرين الهلاك والذلة والهزيمة ، وهم المعنيون بذلك ، لأن التهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله.

ومن أمثلته كذلك قوله – تعالى – : ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**﴾[2].

والمراد بالوعد ما أنذروا به من العقاب ، (والاستفهام عن زمانه ، وهو استفهام تهكم منهم بقرينة قوله : ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ . فقابله بتهكم مثله في الجواب بقرينة : ﴿**رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**﴾)[3] وهذا إيذان بقرب وقوعه وأن ما يستعجلون به كان تأخره رحمة بكم ، لكن لا تستحقون هذه الرحمة فسوف يأتيكم العقاب عن قريب . يقول ابن عاشور : «والجواب جار على الأسلوب الحكيم بحمل استفهامهم على حقيقة الاستفهام تنبيهاً على أن حقهم أن يسألوا عن وقت الوعيد ليتقدموه بالإيمان»[4] .

ومن أمثلته قوله – تعالى – : ﴿**يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ**﴾[5] . كما هو بَيِّنٌ أن السؤال كان عن تحديد زمن حصول يوم القيامة مستعملاً لفظة أيان الدالة على الزمان ، ومن سياق الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآيات من نفس السورة يظهر مغزى سؤال هؤلاء بأنه تهكمي لاعتقادهم استحالَة وقوع يوم القيامة .

---

1. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، 1/ 501 .
2. سورة النمل ، الآيات : 71، 72.
3. انظر محمد الظاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 20/ 27.
4. المرجع نفسه ، 20/ 27.
5. سورة الذاريات ، الآيات : 12 ، 14.

فقُوبِل تهكمهم بتهكم مثله ، ولذا عُدل عن أن يجابوا بتعيين وقت ليوم القيامة ، لأنهم لم يَكونوا جادِّين في سؤالهم ، فكان من مقتضى حالهم أن يُنذروا بما يقع لهم فيه ، حتى ينبهوا على أنهم فرطوا في التوقي من ذلك اليوم واشتغلوا بالسؤال عن وقته تهكما .

وبهذا نستجلي القيمة البلاغية لأسلوب الحكيم أنها تكمن في إيراد الجواب على نسق السؤال في التهكم ، مع تلقِّي المخاطَب بغير مراده لأن في الجواب ما يشفي وقع تهكمه ، وبما يحمله من ترهيب تنفطر له القلوب ، وبما يحوي في طياته من نغمة واعظة زاجرة ، تحمل على الخوف قصد التخلي عن التهكم والمثول للحقيقة الظاهرة بين أيديهم ، التي هي كلام الله الموحى لرسوله عليه الصلاة والسلام .

8 . التَّهْدِيدُ :

ومما هو قريب من التهكم غرض التهديد ، ومن أمثلته قوله – تعالى – : ﴿**وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾[1] .

لبيان الأسلوب الحكيم في الآية ، قال الألوسي : «وهو جواب على ما قرره الطيبي على الأسلوب الحكيم ، فإنهم حين طلبوا ما طلبوا مع وجود الآيات المتكاثرة دل على أن سؤالهم للتعنت ... فأجيبوا بما أجيبوا ليؤذن بأن سؤالهم سؤال المقترحين يستحقون به نقمة الله تعالى وحلول عقابه ، يعني أنه لا بد أن يستأصل شأفتكم ، لكن لا أعلم متى يكون وأنتم كذلك ، لأن ذلك من الغيب وهو مختص به تعالى ، لا يعلمه أحد غيره – جل شأنه – وإذا كان كذلك فانتظروا ما يوجبه اقتراحكم إني معكم من المنتظرين إياه»[2] .

فأسلوب الحكيم هنا يكفي فيه ﴿**إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ**﴾ ،لأنه أجابهم على غير ما يتطلبون ، وأما الزيادة في الجواب – وهي أيضا من أسلوب الحكيم – في قوله : ﴿**فَانْتَظِرُوا**﴾ هي تهديد صارخ ، أي انتظروا ما يفعله الله بكم ، فإن كنتم لا تؤمنون بي حتى تشاهدوا ما سألتهم من نزول الآيات

1 . سورة يونس ، الآية : 20.

2 . شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، 88/6.

المقترحة، فانتظروا حكم الله فيكم، وهو ما سيحلّ بكم من العذاب جزاء تعنتكم وعنادكم وجحودكم بالآيات . قال ابن عاشور : «وهذا تعريض بالتهديد لهم أن ما يأتي به الله لا يترقبون منه إلا شرا لهم»[1].

ونختم بهذا المثال من "سورة سبأ" يقول الله – تعالى – : ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ**﴾[2] . هذا السؤال طرح مرارا وتكرارا –كما سبق وأن أشرنا – وبنفس الصيغة : ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ ، ولكن كل مرة يُجاب عنه بجواب ، حسب ما يفرضه السياق ، وفي كل جواب غرض يختلف عن الغرض في جواب آخر . وهنا الغرض المراد في الإجابة عليه هو التهديد ، قال الألوسي: «كان سؤالهم عن الوقت على سبيل التعنت أجيبوا بالتهديد»[3] .

قال ابن عاشور : «وجملة ﴿**قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ**﴾ إلى آخرها مسوقة مساق الجواب عن مقالتهم ولذلك فصلت ولم تعطف، على طريقة حكاية المحاورات في القرآن، وهذا الجواب جرى على طريقة الأسلوب الحكيم، أي أن الأهم للعقلاء أن تتوجه هممهم إلى تحقق وقوع الوعد في الوقت الذي عينه الله له وإنه لا يؤخره شيء ولا يقدمه، وَحَسَّنَ هَذَا الْأُسْلُوبَ أن سؤالهم إنما أرادوا به الكناية عن انتفاء وقوعه . وفي هذا الجواب تعريض بالتهديد فكان مطابقا للمقصود من الاستفهام، ولذلك زيد في الجواب كلمة لكم إشارة إلى أن هذا الميعاد منصرف إليهم ابتداء»[4].

وهكذا نرى أن القيمة البلاغية من جراء هذا التهديد ترمي لتحريك النفس إلى المعنى المقصود قصد تمكينه منها ليبث الخوف في أرجائها ، ويملأها بالإشفاق والحذر ، فتنكف عن إصرارها على العناد والتعنت والكفر والاستهزاء .

وفي آخر هذا المبحث نقول :

---

1. محمد الظاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 11/ 131.
2. سورة سبأ ، الآيات : 29، 30.
3. شهاب الدين الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، 88/6.
4. محمد الظاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 22/ 200.

إن أغراض أسلوب الحكيم التي ذكرناها وغيرها مما لم نذكر ؛ لا يمكن أن تكون مقاصد في ذاتها ينتهي الأمر عند تحقيقها وبلوغها دون العناية بقيمتها البلاغية وسرّ جمال صياغتها في أداء المعنى المقصود ما يعطي لأسلوب الحكيم مكانته بين الفنون البلاغية.

كما أن أسلوب الحكيم كغيره من الأساليب الأخرى ليس على درجة واحدة من البلاغة في كل أغراضه ، ولا على رتبة واحدة في قيمته ، وإنما يتفاوت من غرض لآخر حسب المعنى المراد بلوغه وإيصاله للمخاطَب والتأثير فيه .

ومع هذا وإن اختلفت الدرجات والمراتب يبقى أسلوب الحكيم فن بديعي له قيمته البلاغية بإثارته للانتباه ، وتنشيطه للسامعين ، وشحذه للعقول ، وتحريكه للعواطف ، وتنبيهه الأنفس على المهم والأولى بها ، ما يستدعي التفكير والتدبر عند المخاطَب ؛ وذلك لإعادة النظر في المعاني الجديدة التي يحملها ويأتي بها .

وبهذه الأغراض وقيمتها البلاغية ننهي الكلام عن الشق البلاغي ، لننتقل للحديث عن الشق الأسلوبي المتمثل في الظواهر وبيان قيمتها الأسلوبية.

المبحث الثالث : ظواهره الأسلوبية

تمهيد

كنت أود أن أجد ولو دراسات لبعض جوانب الموضوع من الناحية الأسلوبية حتى تنير الطريق أو تكون عونا لي في بحثي هذا ، ولكن لم أجد ذلك إلا ما كان من بعض الإشارات الخفيفة في دراسة بعض آيات الموضوع في مجالات أخرى غير هذا المجال ، ربما نستفيد منها في بحثنا هذا وسوف نشير لمراجعها أثناء الحديث عنها ، وكل ما وجدته في دراسة هذا الموضوع من الناحية الأسلوبية ما وقع بين يدي من تعريف أو بيان لمفهوم أسلوب الحكيم من الناحية الأسلوبية عند عبد القادر عبد الجليل في كتابه "الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية" حيث يقول : «هو بنية تقوم على أسلوب صياغي يعتمد فيه السياق على المحاورة وتؤسس بنيتها على أساس مخالفة مقتضى الظاهر بواسطة بدائل البث التلقائي التي يعتمد المنشئ ذات الدرجات اللونية المتقاربة ، والمخالفة في هذه البنية تؤدي إلى ناتج دلالي يدور في منطقة العمق ، ويكمل دورته مارا بمنطقة السطح »[1] .

هذا كل ما جاء فيه من الناحية الأسلوبية في حديثه عن أسلوب الحكيم ، بعد ذكر مثالين له لبيانه بلاغيا وقد ذكرناهما في الفصل السابق ، وهذا التعريف الذي ذكره يشتمل على خمس نقاط، هي:

. أن الأسلوب الحكيم بنية تركيبية كباقي البنى ، لكن تميزها صياغة الأسلوب .

. السياق في هذه البنية يعتمد على المحاورة بين المخاطِب والمخاطَب أو بين السائل والمسئول .

. تبنى هذه البنية على مخالفة مقتضى الظاهر (العدول أو ما يسمى بالانزياح) .

. يستعمل المخاطِب في هذه المخالفة البدائل (اللفظية والمعنوية) الواردة من غير تكلف والكفيلة بتحقيق الغرض من المخالفة ، وتكون متقاربة في الظاهر ، وتختلف في العمق .

---

1 . عبد القادر عبد الجليل : الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، دار الصفاء ، عمان ، ط/1 ، سنة : 2002م ، ص : 560 .

. الناتج عن المخالفة دلالتان : واحدة في البنية العميقة لا تظهر للوهلة الأولى تحدث بسبب التخالف بين مقصد المخاطِب والمخاطَب ، وأخرى سطحية ظاهرة تحدث بسبب الانزياح بالصياغة ،كما سنبينه عن قريب .

وعلى كل حال فهذا ما عثرت عليه وما وقع بين يدي في هذا الموضوع من الناحية الأسلوبية، ولذا سأبذل جهدي في هذا المبحث لبيان الظواهر البارزة والقيم الأسلوبية الكامنة في هذا الأسلوب .

وقبل ذلك نود أن نشير إلى مكامن القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم ، فقد سبق وأن أشرنا في المبحث السابق بأن القيمة البلاغية لأسلوب الحكيم تكمن في عدوله عن مقتضى الظاهر لاعتبار ما ، يراد منه مراعاة الحال ، للوصول إلى غرض معين ، يحمل فكرا يؤثر به في المتلقي ؛ لتنبيهه على الأهم و اللائق به .

فإن القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم تكمن في التخالف الحاصل بين قصد المتلقي وبين ما يريده الملقي ، بحمله لكلام المتلقي من الدلالة الظاهرة إلى أخرى عميقة مخالفة لقصده ومراده ، مراعيا الحال والموقف ، ليحدث بذلك مفاجأة تؤثر في المتلقي تؤدي إلى إثارته وشد انتباهه فتصرفه عن الدلالة الظاهرة التي يقصدها نحو الدلالة العميقة المقصودة التي يريدها الملقي .

كما أن تلقي السائل بغير ما يتطلب ؛ ينزاح بالصياغة من ظاهرها إلى ما هو أولى وأهم ، فيندفع السائل لمعرفة أسباب هذا الانزياح وأوجهه فتتكثف الدلالة في العمق ، فينطلق في عملية ذهنية للبحث عن المطلوب ليصل إلى مقصد المتكلم ، فيكسب الأسلوب بذلك قيمته الأسلوبية كما سنراه عند الحديث عن ظاهرة الاختيار والانزياح .

هكذا نرى كيف تتجلى القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم من حيث أنه يثير المتلقي ويوجه اهتمامه من البحث عن الجواب إلى التفكير في فحوى الجواب ، فيساعده ذلك على معرفة المطلوب منه ، ويرتقي به من مجرد السؤال إلى اكتشاف المعرفة وامتلاك مهارات التساؤل في البحث عن اللائق والأهم .

كما أن مما يبرز القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم في القرآن الكريم أنه يعمل على تلقين المعرفة وإيقاظ الوعي وزيادة الفهم وتنشيط الفكر ، ويظهر هذا جليا من خلال ما عرضنا من أمثلته فيما سبق وما فيها من إجابات تحمل شحنات تترك المتلقي يعيد النظر في تصوراته ومفاهيمه ومعتقداته وفق ما تلقاه في الجواب ، الذي فيه من أنواع المعارف والمفاهيم والإشارات المختلفة ما يقرر رؤية الإسلام لبعض تلك التصورات والمفاهيم السائدة في المجتمع ، كما هو الحال في رؤية حقيقة البرّ التي عدّلها القرآن حين التساؤل عن الأهلة : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1] فبين أن حقيقة البرّ تكمن في تقوى الله والخوف منه وليس الخوف من دخول البيوت من أبوابها بإتيانها من ظهورها أثناء الإحرام.

ومنها ما نراه يقرر حقيقة الإنسان وسرّ وجوده في الحياة وعلاقته بمن حوله ليفقه حقيقة الموت والحياة والبعث والجزاء ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[2].

ومنها ما نراه يقرر قضايا الإيمان مثل البعث والجزاء والروح والساعة والقيامة والجنة والنار والملائكة والرسل والرسالات ، وقضايا العبودية ، وما يتعلق بعموم عالَم الآخرة ، وبيان حقيقة العلم الإلهي ، كما في الآيات التالية : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً**﴾[3] .

﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[4] .

---

1 . سورة البقرة:، الآية : 189.

2 . سورة يس ، الآيات : 77 – 79

3 . سورة الأعراف ، الآية : 187.

4 . سورة يونس ، الآيات : 48 – 49 .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] .

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[2]. وغيرها من الآيات التي تبرز هذه الجوانب بطريقة أسلوب الحكيم بما فيه تربية المخاطَبين وتزكيتهم وتعليمهم ما يهمهم ، وتسديد تصرفاتهم بالابتعاد عمّا لا شأن لهم به ، وأن ينتبهوا لما هو أهم وأليق بحالهم وبما هو أولى لهم .

كما نرى في تقرير هذه الحقائق أن هناك قيمة أسلوبية أخرى تنبع من الوضوح الذي يكتسي الألفاظ المستعملة من حيث الدقة في الدلالة ، والدقة في تحديد المقصود بما يتناسب ومكانتها ، فلا تحدث غرابة عند المتلقي رغم ما تحدثه من مفاجأة .

كما نراه يأخذ قيمته الأسلوبية من الزيادة في الإفادة التي يقدمها للمتلقين بما يتناسب معهم ، وبما هو لائق بهم ، وبما هو أولى بحالهم ، زيادة تخاطب العقل والوجدان تجعل المتلقي يعيد التفكير في المفهوم الذي يحمله أو السؤال الذي يطرحه من جراء ما أثاره فيه أسلوب الحكيم من أحاسيس ومشاعر وأخيلة وتصورات جديدة بعثت على انفعاله وتفاعله مع الواقع الجديد .

كما أن من خلال هذه المعاني المتعددة تتجلى القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم التي تبين أن الهدف هو التأثير في المتلقي ليدرك المراد منه ليقيم التوازن بين ما يعتقد ويتصور وبين ما عرض عليه من تلك المفاهيم والمعارف التي لم يكن يترقبها ولا يتطلبها ، فيلجأ لاختيار ما هو مناسب لحاله وأولى لمسيرته بعد التحاكم لعقله وضبط مشاعره وتصويب إرادته بتفاعله مع الخطاب ، فتتشكل شخصيته الجديدة وتأهله للقيام بواجبه المطلوب ، وهكذا تظهر القيمة الأسلوبية من هذا الأسلوب وما يؤدي إليه من تعميق الفكرة في نفس المخاطَب أو السائل فيترسخ المفهوم لديه وتتضح الصورة عنده ، فما عليه إلا أن يتغير ويعيد النظر في طرحه.

---

1 . سورة الإسراء ، الآية : 85.

2 . سورة القيامة ، الآيات : 5 – 12.

وبعد كل هذا البيان لمكامن القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم في القرآن الكريم ننبه على شيء ؛ وهو أن ما ذكرناه من أمثلة في المبحثين السابقين لا نعيد بيان أسلوب الحكيم فيها في هذا المبحث، مكتفين بما ذكرنا فيها، ونتحدث هنا مباشرة عما نريده فيما يخص هذا المبحث من بيان الظاهرة والقيمة الأسلوبية ، وأما ما نذكره من أمثلة لأول مرة سوف نذكر بإيجاز ما يختص ببيان أسلوب الحكيم فيها حتى يظهر الأمر ويتضح ، ثم نبين ما نريد بيانه فيما يخص الظواهر وقيمتها.

وأول ما نتحدث عنه من الظواهر الأسلوبية لأسلوب الحكيم :

1 . ظاهرة الاختيار :

يراد به الانتقاء ، والكلام كله إنما هو قائم على ذلك ، فهو أساس كل تركيب وأساس كل أسلوب ، وهو المحور المهم في الوصول للقيمة الأسلوبية ، فللكلمة المختارة أثر فعال في تقرير المعنى المراد داخل التركيب ، وأي تغيير لها يؤدي إلى تغيير فيه ، فكل عنصر داخل التركيب يؤدي في موقعه وظيفته المنوطة به ، وتكمن قيمته من العلاقات القائمة بينه وبين العناصر الأخرى داخل النظام التركيبي للجملة ، وبهذا الترابط بين مجموع تلك العناصر ضمن التركيب تظهر القيمة الأسلوبية للكلمة المختارة في مدى التعبير عن الفكرة وإبراز المعنى المقصود توصيله للمتلقي بما يتناسب وحاله ويتلاءم ومقامه ، ليؤثر فيه وليثير انتباهه ، ومن هنا ندرك قيمة الاختيار للكلمات داخل التركيب في إفراز وإبراز القيمة الأسلوبية للكلام .

وقد ذهب الدارسون إلى أن الاختيار على نوعين[1] :

الأول : «انتقاء نفعي مقامي ربما يُؤْثِر فيه المنشئ كلمة (أو عبارة) على أخرى لأنها أكثر مطابقة . في رأيه . للحقيقة، أو لأنه على عكس ذلك، يريد أن يضلل سامعه ، أو يتفادى الاصطدام معه بحساسية تجاه عبارة أو كلمة معينة»[2] .

---

1 . انظر موسى ربابعة: جماليات الأسلوب والتلقي، دار جرير، عمان، ط/1 ، سنة: 1429هـ ، 2008م، ص: 181.

2 . انظر سعد مصلوح : الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط/3 ، سنة : 1423هـ ، 2002م ، ص : 38 .

والثاني : «فهو انتقاء نحوي .. بمفهومها الشامل ؛ الصوتية والصرفية والدلالية ونظم الجمل .. ويدخل تحت هذا النوع من الانتقاء كثير من موضوعات البلاغة العربية ، كالفصل والوصل والتقديم والتأخير والذكر والحذف»[1] .

ونعرج الآن على النوعين بما يجلي هذه الظاهرة في أسلوب الحكيم في القرآن الكريم .

أ) . الاختيار النفعي :

ولنبدأ بالوقوف على اختيار كلمة "ضلالة" بدل "ضلال" في قوله –تعالى – : ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[2] .

الضلال : هو العدول عن طريق الحق والذهاب عنه ، أي إنا لنراك في دعائك إلى عبادة الله وحده في ضلال عن طريق الحق ، أي في تَلَفٍ وجهالة بما تسلك ، فجوابه المفترض أن يُقَال : ليس بي ضلال ، فلم ترك هذه الصيغة ، وقال : ليس بي ضلالة؟.

نعلم بداية أن الإجراء الأسلوبي الأول يكمن في اختيار لفظ "ضلالة" بدل "ضلال" في (استحسان المغايرة)[3] دفعا للثقل وجلبا للمفاجأة وإحداث الدهشة ، فاللفظ إذا أعيد ذهب منه الاستغراب وزالت منه الدهشة التي يحدثها عند المتلقي ؛ وبالتالي يكون أجراء أسلوبيا عاديا لا يحرك المتلقي ولا يؤثر فيه ، وعليه فإن اختيار لفظ "الضلالة" يُكَوِّنُ قيمةً أسلوبيةً تُخْرِجِ الخطاب من حالته المألوفة المتكررة إلى حالة جديدة لا ينتظرها المتلقي فتحدث عنده ما يسمى بخيبة الانتظار.

ثم أن في اختيار لفظ "ضلالة" مبالغة في النفي بما يقابل نفي الإثبات لديهم ، بمعنى كما بالغوا في إثبات الضلال له بلفظ "مبين" أي قذفوه بضلال مقيد بالوضوح ، بالغ في نفيه بلفظ

---

1 . انظر المرجع السابق ، ص : 39 .

2 . سورة الأعراف ، الآيات : 59 – 62.

3 . انظر محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 8/ 192.

المرة الواحدة "ضلالة" فهي أعم لنفى الضلال المطلق الكثير ، وبنفيه ينتفي كل ما يتعلق به ؛ بل نفي أقل شيء من الضلال ، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى ، والمقام يقتضى ذلك ، وهذا من أحسن الرد وأبلغه ، لأنه نفى أن تلتبس به ضلالة واحدة فضلا عن أن يحيط به الضلال بمجموعه ، (وهذا ينفي ما فوقها من المرتين والمرار الكثيرة)[1] ، فكان المعنى : (ليس بي نوع من أنواع الضلالة ألبتة ، وهذا أبلغ في عموم السلب)[2] فلو قال : لست ضالا لم يؤد هذا الجواب المعنى المراد ، فكان هذا الإجراء الأسلوبي في قمّة الجمالية.

ولنقف على اختيار آخر في قوله – تعالى – : ﴿**يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ**﴾[3] ، يتمثل الاختيار في لفظة "يفتنون" وفي لفظة "ذوقوا" .

و(الفتنة من المشترك اللفظي لها عدة معاني)[4] ، جاء في التضمين النحوي محمد نديم فاضل : «وأصلها إذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استُعمل في التعذيب والإحراق: وقال جُل المفسرين "يُفْتَنُونَ" : يعذبون ويحرقون . قال الرازي: قيل يُحرقون والأولى "يُعرضون" عرض المجرب الذهب على النار، فكلمة "على" تناسب ذلك ولو كان المراد يحرقون لكان بالنار أو في النار أليق لأن الفتنة هي التجربة . وذكر الزمخشري: يُحرقون ويُعذبون. ومنه الفتين وهي الحرَّة لأن حجارتها محرقة . وقال الجمل: عُدِّي يفتنون بـ "على" لتضمنه معنى يُعرضون وقيل: يُجبرون»[5].

إذا عندنا مجموعة من الألفاظ وهي : يجبرون ، يعرضون ، يعذبون ، يحرقون ، فاختيار لفظة "يفتنون" من بين البدائل المطروحة عموديا على مستوى محور الاختيار لما لها من قيمة أسلوبية

---

1 . انظر ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، 2/ 168.

2 . انظر محمد بن عمر الرازي : مفاتيح الغيب من القرآن ، 297/14 .

3 . سورة الذاريات ، الآيات : 12 ، 14.

4 . انظر مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين: الموسوعة القرآنية المتخصصة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ، سنة : 1423 هـ – 2002 م ، ص : 757 .

5 . محمد نديم فاضل : التضمين النحوي في القرآن الكريم (أطروحة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم بالخرطوم) ، دار الزمان، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية ، ط/1 ، سنة : 1426 هـ – 2005 م، 2/ 122.

تحمل المعنى في العمق لتمر به على السطح ، بتكثيف الدلالة وتوسيع دائرة القراءات ، وزيادة في التخيل والتصوير لذلكم الموقف الذي سيقفون فيه ، وهذا يجعل من كل البدائل المطروحة – رغم المفاضلة – واقعا محقق الثبوت لا محالة ، فسوف يعرضون على النار وسوف يجبرون على دخولها ويعذبون فيها ويحرقون بها .

كما أن كل لفظة من البدائل قد تقوم مقام الأخريات وتؤدي نوعا من الدلالة السطحية الظاهرة المعروفة ، لكنها قاصرة في ذاتها عن الإحاطة بمدلول باقي البدائل هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لا تملك إحداث الدهشة لتداولها وكثرة استعمالها ، وعليه لا تكون بنفس قوة اللفظة المخصوصة المختارة "يفتنون" ، وما تحدثه من مفاجأة لأنها غير متوقعة ولا منتظرة .

ثم أن أصل الفتن إدخال الذهب في النار لاختيار جودته من رداءته ، ولا يذاب إلا بحرارة نار شديدة ، واستعمل (استعير) في إدخال هؤلاء الخراصين النار لاختبار العزة والكرامة التي كانوا يدعونها وينفون بسببها وجود يوم القيامة ، ليظهروا على حقيقتهم وما هم عليه ، وهذا كناية عن الإحراق الشديد الذي ينتظرهم .

ثم المجيء بلفظ "ذوقوا" مقرونا بالفتنة دون مرادفاته يزيد في القيمة الأسلوبية بغرض زيادة التنكيل بهم مع شدة العذاب وتنوعه ، وذلك أن لفظ "ذوقوا" فيه نوع من الرقة واللطف بما يتناسب وحاسة الذوق المنوطة باللسان فهو أشد الأعضاء إحساسا ، لذا يُجس به الطعام ، واستعير ليعبر عن الإحساس القوي بملابسة طعم الفتنة التي تنتظرهم ، وهذا الأسلوب بلغ ذروة الاستهانة والتحقير والاستفزاز لمن يظن نفسه على الحق وأنه في منعة وعزة .

ثم أن (الأصل في الذوق يكون للقليل من الطعام دون الكثير، وعكسه الأكل يكون للكثير تناوله)[1]، وهنا معنى آخر أسلوبي يفيده السياق حيث اختير لفظ "ذوقوا" في العذاب لأن ذلك وإن كان في المتعارف القليل فهو مستصلح للكثير فخصه بالذكر ليعم الأمرين، وهذا يدل على

1 . انظر محمد عيد: المفارقة القرآنية دراسة في البنية الدلالية، دار الفكر العربي، بيروت، ط/1، 1415هـ، 1994م، ص: 64 .

إحاطة العذاب بهم وأنهم لا يَسْلَمون من صغيره ولا كبيره، ووَقْعُ هذا على النفس كبير وتأثيره فيها عظيم، فوحده يعد عذابا دون العذاب الأكبر .

كما أن الاختيار للفظين مع بعضهما "ذوقوا فتنتكم" (يجعل الكلام موجها بتذكير المخاطبين في ذلك اليوم ما كانوا يفتنون به المؤمنين من التعذيب مثل ما فتنوا بلالا وخبابا وعمارا وسمية وغيرهم، أي هذا جزاء فتنتكم ... وجعل المذوق فتنتهم إظهارا لكونه جزاء عن فتنتهم المؤمنين ليزدادوا ندامة)[1] .

وهكذا فإن قيمة كل إجراء أسلوبي – كما يرى ريفاتير – تتحدد من خلال ما يحدثه من مفاجأة لدى المتلقي، فكلما كانت الخاصية الأسلوبية غير منتظرة وغير متوقعة كان أثرها في نفس المتلقي عميقا وأبعادها كبيرة، وهذا ما نراه من جراء ما تحدثه هذه الكلمات المختارة في نفس المتلقي، والتي يراد بها فيما ذكرنا الإذلال والتحقير والإهانة، ويؤكد ذلك السياق والعلاقة بين عملية الذوق والشيء المراد ذوقه وهو الفتنة، إذ أن الذي يأمر بالذوق يكون يعلم طعم الشيء المذاق ومتأكد منه، وحين يستعمله في غير ما يذاق ولمن يرى نفسه أنه يستحق التعظيم والتكريم يكون حينها أبلغ في التهكم، ومن هنا تحدث المفاجأة لأن المخاطَب لم يكن يترقب ذلك .

ولننتقل للنوع الثاني من الاختيار لنرى كيف تكمن القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم في التركيب القرآني من التطابق بين البنية التركيبية والموقف من خلال توافق الأسلوب والسياق والمقام.

ب) . الاختيار النحوي :

فمن هذا الاختيار حذف الجواب في قوله – تعالى – : ﴿**وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى**﴾[2] . فنجد في الآية أن جواب "لو" محذوف، وتقديره: (لكان هذا القرآن)[3] .

---

1 . انظر محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 26/ 346 .

2 . سورة الرعد الآية : 31.

3 . انظر محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي أبو عبد الله (ت: 671هـ) : الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/2 ، 1384هـ – 1964 م ، 9/ 319.

أي هو الذي له من القوة والقدرة على ذلك ، فيسير الجبال ويقطع الأرض ويكلم الأموات .
يقول أحمد بدوي : «وحذف الجواب هنا يشير إلى أنه من الوضوح بمكان، فلو أن قرآنا أوتى تلك القوة الخارقة، لكان هذا القرآن جديرا أن تكون له هذه القوة»[1].

ففي حذف هذا الجواب يظهر مدى التأثير الحاصل على المتلقي وإثارته ، بحيث لو ذكر الجواب لم يكن بنفس العظمة عنده ، ولا بنفس منزلة الحذف ، فالحذف يذهب السامع كل مذهب ، ويتركه لا يعول على نفسه في تحديد المعنى المراد ، مثل ما يكون في إيراد اللفظ بذاته ، وفي هذا تنبيه لاختبار المتلقي ، (لأن نفس السامع تتسع في الظن والحساب ، وكل معلوم فهو هين لكونه محصورا)[2] ، لكن غير المحصور يحدث المفاجأة عند المتلقي ويكثف الدلالة عنده ، فيلجأ للبحث وراء الدافع الموجب لهذا النمط من التركيب، بإعمال الفكر وتنشيط العقل والخيال ، وهذا (أحد أنواع سحر الكلام حيث يتوصل بتقليل اللفظ إلى تكثير المعنى)[3].

فما حذف في الصياغة التركيبية للكلام يكون موجودا في البنية العميقة وتدل عليه القرائن والإيحاءات والإشارات ، فيؤدي بذلك وظيفته التأثيرية والدلالية ، ويشحن ذهن المتلقي بشحنات عديدة ومختلفة تضاعف من أحاسيسه وتجعله يعدد القراءات ويوسع الدلالات كي يستقيم السياق النحوي والدلالي للصياغة ، وبالتالي يترسخ المعنى في ذهن المتلقي أكثر مما لو ذكر العنصر المحذوف نفسه.

يقول عبد القاهر الجرجاني منوهًا بشأن الحذف ومبرزًا قيمته: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن»[4].

---

1. أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: 1384هـ): من بلاغة القرآن، نهضه مصر ،القاهرة ، سنة : 2005م، ص: 100.
2. انظر الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي أبو على (ت: 463 هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط/5 ، 1401هـ – 1981م ، 1/ 251 .
3. انظر يوسف بن أبي بكر السكاكي : مفتاح العلوم ، ص : 228 .
4. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص : 146 .

كما أن للذكر نفس القيمة الأسلوبية في بعض صيغ الكلام لا يؤديها الحذف في مكانه ، مثاله قوله – تعالى – : ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[1] .

فأعاد ذكر الروح في قوله ﴿**قُلِ الرُّوحُ**﴾ ، يقول أحمد عبد الله البدوي : «ألا ترى في ذكر الروح وارتباطها بخبرها، ما يثبت معنى الجملة في نفسك، ولا يشتت أركانها في فؤادك، فيذكر لك ما يتحدث عنه صراحة، ولا يدعك تلتمسه من الكلام . وإن شئت فاحذف كلمة الروح من الجملة، وانظر أتجد المعنى في الجلاء والاستقرار مثله عند ما تذكر»[2].

وأيضا فإننا نرى الذكر في التركيب يعطي الأسلوب تناسقا صوتيا ، واسترسالا دلاليا غير منقطع لا يكون ذلك لو حذفنا لفظ "الروح" ، وهذا يقوي المعنى داخل التركيب ويؤدي لثبوته في النفس ، ويدرك المتلقي من خلاله قيمة ومكانة وعظمة المذكور "الروح" ، لأن الحذف هنا يوهن عرى الألفاظ ويضعف العلاقة القائمة بينها ، ويؤدي لاختلالها في تثبيت المعنى ، فيشعرك بأن النظام اللغوي داخل التركيب يفتقر لكلمة ترصه وتربط أوله بآخره ، بها يتقوى التناسق ويلتحم الترتيب وتنتظم العلاقة القائمة بين الكلمات ، فيستقيم المعنى وتظهر الدلالة ، ولا يحتاج لبحث وكثير عناء.

ومثل الذي قلناه في ذكر كلمة "الروح" يُقَال في ذكر كلمة "الأنفال" ، في قوله – تعالى – : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[3] . الأنفال : هي الغنائم التي تُأخَذ من الأعداء في الحرب ، واقتضى السياق أن تعاد هذه كلمة، وتُعنى بالذكر في قوله : ﴿**قُلِ الْأَنْفَالُ**﴾ وهذا قصد حكمة كبرى ، وهي تأكيد اللوم والعتاب لمن سأل عنها طمعا في الدنيا على حساب الوحدة ورص الصف وجمع الشمل ، ولذا حَمَلت اللفظة في التركيب الدلالة على الكراهية في الحديث عنها

---

1. سورة الإسراء ، الآية : 85 .
2. أحمد عبد الله البيلي البدوي : من بلاغة القرآن ، ص: 95.
3. سورة الأنفال ، الآية : 1.

والاختلاف بسببها في الحال الذي يقتضي الاعتناء بإصلاح ذات البَيْن قبل كل شيء ، ولا يمكن أن يُؤَدَى هذا المعنى بتمامه وقوته حين نحذفها.

فهذه الآية نزلت حين اختلف المقاتلون في توزيع غنائم بدر ، فذهبوا لرسول الله ليسألوه عن كيفية تقسيمها ، ولمن هي أللمهاجرين أم للأنصار؟ ، وكان مقتضى الجواب العادي أن يقول تقسيمها كذا ويحدد الكيفية في التقسيم ، ويقول للمهاجرين أو للأنصار أو لهما جميعا ، لكن عدل في الجواب وكان بخلاف مرادهم وبغير ما يتطلبون وعلى غير ما يترقبون للحكمة التي ذكرناها ، فجاء الجواب أن يقول لهم بأن حكمها لله أولا يحكم فيها بما يريد ، ثم للرسول يقسمها بينكم كما أمر اللّه ، فأمرها مفوض إلى اللّه ورسوله ، من غير أن يدخل فيه رأي أحد منكم ، ثم زاد في الإفادة بما يقتضيه الأولى والأهم لحالهم بأن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم .

ومن الاختيار –كذلك – الاختيار الصرفي لصيغة "اسم الفاعل" في لفظ "قادر" بدل غيرها ، في قوله – تعالى – : ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1] .

بيان أسلوب الحكيم فيها أنهم يترقبون نزول آية من الآيات ، ويطلبونها من باب العناد والتكذيب لرسول الله لا قصد الإيمان بها ، ولذا جاء الرد بغير ما يترقبون وبخلاف الظاهر ، وذلك بتفويض الأمر إلى قدرة الله بأنه ينزلها متى شاء لا كما تريدون أنتم .

فقد كان الاختيار على لفظ "قادر" بدل "قدير" أو "مقتدر" اللتان ورد ذكرهما أيضا في القرآن الكريم ، لأن الأخيرين إنما يستعملان في الكثرة وعند التعميم ، كما في قوله – تعالى – من نفس السورة : ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2] ، فنرى أن قدير من صيغ المبالغة على وزن فعيل، تناسب تعميم القدرة أو أطلاقها كما هو ظاهر في لفظ "كل شيء" ، وإذا قيّدها استعمل لفظ "قادر" ، اسم فاعل وليس مبالغة ، فهي تستعمل فيما دون الكثرة وعند

1. سورة الأنعام الآية : 37.

2. سورة الأنعام ، الآية : 17

التقييد ، وهنا قُيّدت بإنزال آية ، فهم طلبوا آية ولم يطلبوا آيات ، فهي ليست كثرة بل آية واحدة ، وليست أي شيء غير معروف بالتحديد ، لذا لا يحتاج في هذا الإجراء الأسلوبي للمبالغة في الإنزال ، فيكفي لتحقيق الدلالة لفظ "القدرة" عموما على دلالة قوة فعل التنفيذ ، ثم أن الاسم أقوى وأثبت وأدوم من إيراد الفعل "يقدر" مثلا ، كما أن في اختيار "اسم الفاعل" بالذات لأنه يشعر بالحدوث والتجدد والدوام ، بما ينبئ بأنه قادر على إنزالها في أي وقت طلبتم أو لم تطلبوا ، ويكرر إنزالها أو ينزل آيات غيرها أو يعجلها أو يؤخرها ، وعليه كان هذا الاختيار مناسبا للسياق والصياغة والحال في هذا الإجراء الأسلوبي لأنه يؤدي إلى تنمية الفائدة وتربيتها لدى المتلقي ، بما يبعثه في الكلام من الإشارات والأضواء التي تتناسب وحال المخاطبين والتأثير فيه .

ونتنقل الآن للظاهرة الثانية ، وهي :

2 . ظاهرة الانزياح :

الانزياح في المفهوم الأسلوبي مقرون بمفهوم الأسلوب[1] ، وهو في عمومه يراد به الخروج عن المألوف لداع من الدواعي التي يراها منشئ الكلام ، سواء أكان هذا الخروج صوتياً أم صرفياً أم نحوياً أم معجمياً أم دلالياً ؛ عن طريق استغلال إمكانات اللغة وطاقاتها الكامنة ، يقول نعيم اليافي في تعريفه بأنه : «خروج التعبير عن السائد أو المتعارف عليه قياسا في الاستعمال ، رؤيةً ولغةً وصياغةً وتركيباً»[2].

والمتتبع للأسلوب القرآني يلحظ أن فيه نوعا من السعي المتكرر والمقصود إلى الانزياح والخروج عن المطابقة للمألوف في الكلام ما يلفت نظر المتلقي ويشد انتباهه ، وهو المشاهد في أسلوب الحكيم ؛ بحيث عندما نرجع إليه نجده مبني على الانزياح وهو الركن الأساسي فيه ، وكل مثال ذكرناه من أول البحث إلى ما سنذكره إلا والانزياح يمثل الظاهرة الأبرز فيه ، الشيء الذي يضفي

1 . انظر مجلة جامعة دمشق ، صالح علي سليم الشتوي ، مقال : "ظاهرة الانزياح الأسلوبي في شعر خالد بن يزيد الكاتب" ، المجلد 21 ، العدد (3 + 4) ، سنة : 2005 ، ص 85.

2 . المرجع نفسه ، ص 84.

على الكلام مسحة جمالية تتمثل في تكثير المعنى فتجعله مؤثرا ومقنعا ، وتجعل (الأعناق إليه أميل، والعقول عنه أفهم، والنفوس إليه أسرع)[1] .

فالانزياح الذي تحلى به أسلوب الحكيم ينشط المتلقي إلى ما يتلقاه ، فيكون بمثابة السحر الذي يسحره ، وهذا مكمن قيمته الأسلوبية ، يقول السكاكي : «وأن هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور، وهل ألان شكيمة الحجاج لذلك الخارجي وسل سخيمته حتى آثر أن يحسن على أن يسيء غير أن سحره بهذا الأسلوب»[2] .

وسوف نكتفي بالوقوف على ثلاثة أنواع منه ، لأنه كما سبق وأن أشرنا بأن الأسلوب في ذاته انزياح ، وبعض ما ذكرناه من أمثلة في الاختيار هي – أيضا – من الانزياح ، مثل الحديث عن "ذوقوا" في الاختيار النفعي ، ومثل الحذف في الاختيار النحوي ، وبعض ما سنذكره لاحقا في التكرار والمفارقة أيضا منه ما يعد من الانزياح ، لذا نكتفي بما سنذكر .

أ) . الإرداف :

فمن أمثلة الانزياح في أسلوب الحكيم ما يكون في استبدال اللفظ الوارد في السؤال عن طريق الجواب مع الإشارة للمعنى المراد في اللفظ المستبدل عن طريق اللفظ المستبدل به ، وهو ما يسمى بـ : " الإرداف" .

يقول عنه البلاغيون في تعريفه : «أن تراد الإشارة إلى معنى فيترك اللفظ الدال عليه ويؤتي بما هو دليل عليه ومرادف له»[3] .

أي أن المتكلم يريد معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ، بل يعدل عنه للفظ آخر هو ردفه وتابعه يحمل معنى اللفظ الأول ويزيد عليه بمعاني أخرى ، وفيه من الوصف وقوة الإسهاب والبسط

---

1 . انظر عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين ، 31/1 .

2 . يوسف بن يعقوب السكاكي : مفتاح العلوم ، ص: 327 .

3 . ضياء الدين بن الأثير : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، تحقيق : مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي . العراق ، سنة : 1375 هـ ، ص: 160.

ومراعاة المقام والتنبيه على الأهم ودقة المعنى ما لا يؤديه اللفظ المتروك ، لأنه يدل على معنى واحد.

من أمثلة ذلك في أسلوب الحكيم ، قوله – تعالى – : ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾[1].

أولا فيما يتعلق ببيان أسلوب الحكيم في هذا النص القرآني ، ننقل ما ذكره الألوسي حيث قال : «والاستفهام في قوله جل شأنه : ﴿**أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ**﴾ للاستهزاء لأنهم يعلمون أنهم عالمون بذلك ، ولذلك لم يجيبوهم على مقتضى الظاهر كما حكى سبحانه عنهم بقوله : ﴿**قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾ ، فإن الجواب الموافق لسؤالهم نعم أو نعلم أنه مرسل منه تعالى . قال الألوسي : «ومن هنا قال غير واحد : إنه من الأسلوب الحكيم فكأنهم قالوا : العلم بإرساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون»[2] .

وأما فيما يتعلق ببيان نوع الانزياح الذي نتحدث عنه "الإرداف" ، وهو ما يحصل في اللفظ عن طريق الجواب ، وهو أنهم سألوا عن "العلم" برسالته ، فجاء بلفظ "الإيمان" برسالته بدل العلم، فلم يذكر العلم لأنه في لفظ الإيمان دلالة عليه ، فلا يكون الإيمان من غير العلم بالشيء المؤْمَن به ، فمن آمن بالضرورة يكون على عِلْمٍ بما آمن ، كما قال تعالى : ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾[3] ، ولكن ليس كل من عَلِمَ يكون قد آمن كما هو حال السائلين هنا .

يقول ابن الأثير : «فإن الغرض بقولهم : ﴿**إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾ جواباً عن سؤالهم: ﴿**أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ؟**﴾ إثبات العلم بإرساله ، وأنه من الأمور الظاهرة المسلمة ، التي لا يدخلها ريب ، ولا يعترضها شك ، لكن عدل عن ذلك إلى ما هو دليل عليه ، ورادف له

1 . سورة الأعراف ، الآية : 75.

2 . شهاب الدين الألوسي: روح المعاني روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، 402/1 .

3 . سورة محمد ، الآية : 19

، وهو الإيمان به : أعني بصالح ، وإنما صح منهم بعد ثبوت نبوته عندهم ، والعلم بإرساله إليهم ، فالإيمان به إذن دليل على العلم بأنه نبي مرسل . وهذا من دقائق الأرداف ولطائفه»[1].

وتبرز القيمة الأسلوبية لهذا الانزياح في توسيع الدلالة، وجذب نفس المتلقي نحو اللفظ الجديد، ما يحمله على الانتظار لمعرفة ما يحمله من إجمال وما خلفه من مراد ، كما أن فيه مراعاة حسن الأدب في الرد عليهم وفي تكذيبهم ، حيث لم يصرح بلفظة أنتم كاذبون تعلمون أنه مرسل ، لأن فيه نوع من الاستهجان في الخطاب ينعكس سلبا على المراد من المخاطَب، ولذا جاء بلفظ ﴿**مُؤْمِنُونَ**﴾ الذي هو نفي ما ادعوا في تكذيب صالح ومن آمن معه ، لأن ذلك رادف له.

ب) . الاستفهام المجازي :

ومن الأمثلة على الانزياح ما نراه في "الاستفهام المجازي" الذي ورد في العديد من أمثلة أسلوب الحكيم ، ولا يتطلب منه الجواب ، من ذلك قوله . تعالى . : ﴿**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ**﴾[2].

هذا من تلقي المخاطَب بغير ما يترقب ، فقد (حكى المفسرون أن المشركين قالوا مستهزئين : نحن ندخل الجنة قبل المسلمين)[3] ، فجاء الرد بغير ما يترقبون ، بأسلوب (الاستفهام إنكارا لتظاهرهم بالطمع في الجنة بحمل استهزائهم على خلاف مرادهم على طريقة الأسلوب الحكيم)[4] .

وبهذا نرى الاستفهام المجازي ؛ فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ؟ ، أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم؟ . لا يراد من كل ذلك الاستفهام الحقيقي قصد تتطلب الجواب ، لكن الاستفهام للتعجب يراد به الاستنكار من حال هؤلاء الذين كفروا ،

---

1 . ضياء الدين بن الأثير : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، ص: 163.

2 . سورة المعارج ، الآيات : 36 – 38.

3 . انظر محمد الظاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 177/29 .

4 . انظر المرجع نفسه ، 177/29 .

ومن تصرفاتهم التي تنم على منتهى الغفلة والجهل ، (أي أيطمع كل واحد من هؤلاء الكفار ، أن يدخله الله جنات النعيم ، وقد كذب خاتم المرسلين؟)[1] .

ويبين لنا سيد قطب القيمة الكامنة من وراء هذا الأسلوب الاستفهام المجازي ، فقال: «وفي التعبير تهكم خفي بحركتهم المريبة . وتصوير لهذه الحركة وللهيئة التي تتم بها. وتعجب منهم . وتساؤل عن هذا الحال منهم! وهم لا يسرعون الخطى تجاه الرسول ليسمعوا ويهتدوا ، ولكن فقط ليستطلعوا في دهشة ثم يتفرقوا كي يتحلقوا حلقات يتناجون في الكيد والرد على ما يسمعون!»[2] .

ونظرا لتوارد ظاهرة الانزياح الاستفهامي المجازي عدة مرات في أسلوب الحكيم نقف مع انزياح آخر في "سورة النمل" لتتجلى لنا القيمة الأسلوبية أكثر لهذه الظاهرة من خلال أسلوب الحكيم في القرآن الكريم ، وهو قوله . تعالى . : ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[3] .

الاستفهام المجازي في قوله : ﴿**لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ؟**﴾ ، قال ابن عاشور : «ظاهره أنه استفهام عن علة استعجالهم وإنما هو عن المعلول»[4] ، ومفاده أن الإنكار متوجه للاستعجال ذاته لا لعلته ، وهذا لأخذهم بجانب العذاب دون جانب الرحمة، وتقديمهم العقوبة على التوبة التي هي سبب حصول الخيرات التي بشّرهم بها في الدنيا والآخرة لو آمنوا به .

ويكمن السر الجمالي الذي يعطي الانزياح في الاستفهام المجازي قيمته الأسلوبية ؛ هو أن الاستفهام المجازي في أسلوب الحكيم يحمل نوعين من الانزياح ، هما :

---

1 . انظر محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، ط/1 ، سنة : 1417هـ – 1997م ، 3/ 423.

2 . سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ) : في ظلال القرآن ،دار الشروق . القاهرة ، ط/17 ، سنة : 1412 هـ ، 6/ 3702.

3 . سورة النمل ، الآيات : 45، 46.

4 . محمد الظاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 19/ 280.

الأول : الانزياح عن الجواب العادي ، وهذا يتحقق بالسؤال ، ويتحقق بغير السؤال ، فمجرد المجيء بالسؤال يكون قد تحقق الانزياح.

والثاني : الانزياح في السؤال ذاته ، حيث أنه أتى بطريق المجاز لا الحقيقة ، فأصل السؤال الحقيقة حين وضْعه فيتطلب جوابا يحتاج إلى تفكير وروية ليصل المتلقي إلى الحقيقة عن طريق الجواب ، وفي السؤال المجازي لا يراد الجواب وإنما يراد الوصول إلى الإقرار والاعتراف بهذه الحقيقة وليس مجرد الجواب ، وبذلك يكون أولى من الأسلوب الحقيقي للاستفهام ، وأوقع على المتلقي من مجرد الانزياح في الجواب .

فالاستفهام هنا يثير في النفس التفكير والتخمين فيما هو ابعد من الجواب أو الرد على سؤال ، ويدفعها إلى التفاعل والتأثر معه ليتدبر المخاطَب الأمور بروية بينه وبين نفسه ، فيقتنع بمحض تفكيره الخاص بأنه ما كان ينبغي أن يقع منه ما وقع ، أو كان الصواب والأجدر أن يقع ما هو الأولى، وهكذا ينزاح أحيانا عن الجواب العادي إلى غير العادي باستعمال الاستفهام المجازي لحمل المتلقي على الاعتراف بعد شدة التأثير والتفاعل مع صيغة الجواب الجديدة .

ج) . الانزياح الدلالي :

وفي نفس الآيات نجد نوعا آخر من الانزياح لا يقل أهمية عن سابقة ، ألا وهو الانزياح الدلالي في اختيار الأخذ بالسيئة قبل الحسنة ، في قوله : ﴿**لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ**﴾ ، فالمعنى الظاهر المتبادر أنهم عجلوا بالسيئة وبالحسنة ، ولكن اختاروا تقديم السيئة عن الحسنة ، وهذا المعنى المتبادر غير الحقيقة التي هم عليها ، فالحال التي هم عليها أنهم لم يلتفتوا للحسنة مطلقا ولا طلبوها ولا استعجلوها ولا صدقوا بها ؛ بل لم يخرجوا عن السيئة ، وهي التي استعجلوها فقط ، وكان الأمر العادي أن يقتصر على السيئة وحدها ، بأن يقول لهم : لم تستعجلون بالسيئة؟ ، فعدل عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي وهو الاستعجال بهما معا مع اختيار تقديم جانب السيئة عن جانب الحسنة .

يقول ابن عاشور: «فالقبلية في قوله: ﴿**قَبْلَ الْحَسَنَةِ**﴾ مجاز في اختيار الأخذ بجانب احتمال السيئة وترجيحه على الأخذ بجانب الحسنة، فكأنهم بادروا إليها فأخذوها قبل أن يأخذوا الحسنة»[1].

والقيمة الأسلوبية في الانزياح تتمثل في (أنه أنكر عليهم أخذهم بطرف التكذيب إذ أعرضوا عن التدبر في دلائل صدقه، أي إن كنتم مترددين في أمري فافرضوا صدقي ثم انظروا. وهذا استنزال بهم إلى النظر بدلا عن الإعراض ، ولذلك جمع في كلامه بين السيئة والحسنة)[2].

وكما هو الانزياح في كلمة "أذن" ، في قوله : ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ**﴾[3] ، والانزياح في كلمة "الأعز" ، في قوله : ﴿**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[4]. فقد أراد المخاطَبون في كلا اللفظين معنى ، فانزاح المخاطِب باللفظ ذاته في الجواب إلى معنى آخر ، كما أشرنا عند التعرض للمثالين سابقا ، وكما سنذكر قريبا ، وبهذا نكتفي في بيان ظاهرة الانزياح في أسلوب الحكيم من خلال القرآن الكريم ، لننتقل للظاهرة الموالية وهي ظاهرة التكرار ، وهي لا تقل أهمية عن مثيلاتها .

3 . ظاهرة التكرار :

التكرار هو: (ذكر الشيء مرتين، أو ذكر الشيء مرة بعد أخرى)[5] . (ومنه: كرر الشيءَ : أي ردده تكريراً وتكراراً)[6]. ويكون في اللفظ والمعنى، وفي المعنى دون اللفظ، كما أنه قد ينتظم الجانب الصوتي أو الصرفي أو الدلالي أو التركيبي .

---

1 . المرجع السابق ، 19/ 280.

2 . انظر المرجع نفسه ، 19/ 279.

3 . سورة التوبة ، الآية : 61.

4 . سورة المنافقون ، الآية : 8.

5 . انظر محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ،14/ 28.

6 . انظر نشوان بن سعيد الحميري : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، (9/ 5728) .

فالتكرار يعتبر من إحدى الأدوات الجمالية ، وهو من الظواهر الأسلوبية التي لها قيمتها بما يتركه من تأثير وتفاعل في نفس المتلقي ، وبما فيه من إشباع للأفكار ما يؤدي لتقويتها وتأكيدها في ذهن المخاطَب ، (وقد قيل الكلام إذا تكرّر تقرّر)[1] ، كما أنه يولد إيقاعا لافتا داخل النص مما يسهل على الأذهان استرجاعه واستذكاره ، فالعقول تصنف المتماثلات كما تسترجعها حين تطلبها خاصة إذا اتخذت أماكن مخصصة في النص . ومن أنواع التكرار في أسلوب الحكيم نذكر :

أ) . التكرار الصوتي :

عندما نأتي للقرآن الكريم نجد ظاهرة التكرار قوية فيه وملفتة للنظر، ونحن هنا نريد أن نقف على دراسة بعض نماذجها من خلال أسلوب الحكيم الذي هو محل دراستنا هذه . ومن هذا التكرار ما نراه في الفواصل ، قال تعالى : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾[2] .

فالفواصل كلها تنتهي بألفين مديتين وبينهما هاء : (مرساها ، ذكراها ، منتهاها ، يخشاها ، ضحاها)، ولا يوجد هذا التكرار بنفس الحروف في الآيات التي قبلها مباشرة ، لأن هذا التكرار جاء للمحافظة على الإيقاع الصوتي في الجواب تبعا السؤال الذي وردت في آخره كلمة "مرساها".

وأيضا ما جاء في "سورة القيامة" من التكرار الصوتي لحرف "الراء" الذي نراه في فواصل آيات أسلوب الحكيم ، بخلاف ما قبلها وما بعدها ، قال تعالى : ﴿..**فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**﴾[3] .

الفواصل كلها منتهية بحرف "الراء" : (البصر ، القمر ، القمر ، المفر ، وزر ، المستقر ، أخَّر).

---

1 . انظر جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، 5/ 1650 .

2 . سورة النازعات ، الآيات : 42 – 46.

3 . سورة القيامة ، الآيات : 5 – 13.

ومثله حرف "الدال مع الألف المدية " ، في قوله ـ تعالى ـ : ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا * وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا**﴾[1]. الفواصل كلها بحرف "الدال والألف " : (ولدا ، عهدا ، مدا ، فردا).

وهذا التكرار كما رأينا جاء للمحافظة على الجرس الموسيقي في السؤال والجواب ، ورد أيضا مراعاة لحاجة السياق إليه وتبعا للمعنى ، ففي الآيات الأولى جاء لبيان الهول والأهوال التي تكون يوم الدين ، فكان حرف الراء شديدا ومجهورا ، وفي الثاني تقرير مصدر العذاب للمتفاخر بالمال والولد ، ويظن ذلك مصدر قوته وشدته ، فناسبت الفاصلة أن تكون بنفس الحرف "الدال" تعقيبا عليه ومراعاة للسياق ولما فيه أيضا من القوة والشدة ، وهكذا يكون له رنته الصوتية من حيث الإيقاع فيحسن الوقع على السمع ، ومن حيث الدلالة يكون روعة البيان حيث يضفي على المعنى قوة وبعدا تأثيريًّا مدويا في نفس وقلب المخاطَب ، وهذا من أبرز السمات الأسلوبية التي اختص بها القرآن الكريم في هذا الجانب ، ومثل هذا التوافق في الفواصل يسمى في علم البديع السجع المرصَّع.

ب) ـ التكرار الصرفي :

ومن أمثلة هذا ، التكرار الصرفي المتعلق ببعض الصيغ بألفاظها، من ذلك "صيغة المضارع" التي تكررت في لفظ القول "يقولون" أو في السؤال "يسألون" وذلك في العديد من أمثلة أسلوب الحكيم في القرآن الكريم ، نذكر منها :

في "سورة المنافقون" : ﴿**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**...﴾[2].

وفي "سورة يونس" : ﴿**وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ**...﴾[3].

---

1. سورة مريم ، الآيات : 77 ، 80

2. سورة المنافقون ، الآية : 8.

3. سورة يونس ، الآية : 20.

وفي "سورة يونس" : ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ...﴾[1] .

وفي "سورة الذاريات" : ﴿**يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ** ...﴾[2] .

وفي "سورة البقرة" : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ** ...﴾[3] .

وفي "سورة البقرة" : ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ** ...﴾[4] .

وفي "سورة الأعراف" : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا** ...﴾[5] .

وفي "سورة الأنفال" : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ** ...﴾[6] .

وفي "سورة القيامة" : ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ** ...﴾[7] .

وهكذا نلاحظ تكرار صيغة المضارع في كل هذه الأمثلة ، وهناك كلمات أخرى على نفس الصيغة لم نذكرها لأنها لم تتكرر من حيث اللفظ ، وتكررت من حيث الصيغة ، مثل "سيحلفون" ، "ويستنبئونك" "تستفتحوا" ، "يؤذون" ، "يسأل" "نراك" .

والقيمة الأسلوبية في تكرار صيغة المضارع تنبئ على أن ذلك متكررا منهم وبصفة مستمرة ودائمة ومجددة ، وأنها ليست مجرد أسئلة عابرة غير مقصودة ، وهذا ما يميز قيمة أسلوب الحكيم في إبراز هذه الانشغالات ، ويعطي صورة بأن النص القرآني كل متكامل غير منفصل عن بعضه البعض ، ولا يفهم على حقيقته إلا بهذا الترابط الشامل ، وقد أشرنا لهذا من قبل .

ومن هذا – أيضا – التكرار في صيغة الفعل "الماضي" في لفظ "قال" و "قالوا" ، وصيغة فعل "الأمر" في لفظ "قل" ، وكما هو الحال في الجواب ، أيضا الحال في السؤال ، وتكرار هذه الصيغ

---

1. سورة نفسها ، الآيات : 48 – 49 .
2. سورة الذاريات ، الآيات : 12 ، 14.
3. سورة البقرة ، الآية : 189.
4. سورة نفسها، الآية : 215.
5. سورة الأعراف ، الآية : 187.
6. سورة الأنفال ، الآية : 1.
7. سورة القيامة ، الآيات : 5 – 12.

اقتضاه أسلوب المحاورة في هذا الأسلوب الحكيم القرآني ، وخاصة في النوع الثاني منه الذي هو تلقي السائل بغير ما يتطلب . ومن أمثلته في صيغة الماضي :

ما جاء في "سورة الأعراف" : ﴿... **قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ** ...﴾[1] .

وفي "سورة الأعراف" : ﴿... **قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ**...﴾[2] .

وفي "سورة مريم" : ﴿... **قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** ...﴾[3] .

وفي "سورة مريم" : ﴿... **قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** ...﴾[4] .

وفي "سورة النمل" : ﴿... **قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ** ...﴾[5] .

وفي "سورة الأعراف" : ﴿... **قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[6] .

وفي "سورة الأعراف" : ﴿... **قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾[7] .

ومن أمثلته في صيغة الأمر :

ما جاء في "سورة البقرة" : ﴿...**قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾[8] .

وفي "سورة البقرة" : ﴿...**قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ** ...﴾[9] .

وفي "سورة التوبة" : ﴿...**قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ**﴾[10] .

وفي "سورة النحل" : ﴿...**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾[11] .

---

1. سورة الأعراف ، الآيات : 59 – 62.
2. سورة نفسها ، الآيات: 65 – 68 .
3. سورة مريم ، الآيات : 7 – 9.
4. سورة نفسها ، الآيات : 20، 21 .
5. سورة النمل ، الآيات : 45
6. سورة الأعراف ، الآيات : 164.
7. سورة نفسها ، الآيات : 75.
8. سورة البقرة ، الآية : 189.
9. سورة نفسها ، الآية: 215.
10. سورة التوبة ، الآية : 61.
11. سورة النحل ، الآيات : 101، 102 .

وفي "سورة الأعراف" : ﴿...**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي...**﴾[1] .

وفي "سورة الإسراء" : ﴿...**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...**﴾[2] .

وفي "سورة يس" : ﴿...**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[3] .

ندرك من خلال كل هذا أن التكرار لا يقوم على مجرد تكرار اللفظة في النص ، وإنما على ما تتركه هذه اللفظة من أثر انفعالي في نفس المتلقي ، بإيقاظ وعيه واستنفاره من جراء التنبيهات والتأكيدات التي تنبعث من خلاله ، فكلّ تكرار يكرس مفاهيم معينة ، ويحمل في طياته إيحاءات نفسية وانفعالية متباينة ، تفرضها طبيعة النص ، وطريقة الأسلوب فيه ، وحال السياق ، ولو لم يكن كذلك ؛ لكان التكرار لا فائدة منه وليس له أية قيمة أسلوبية لأنه حينها لا يؤدي معنى أو وظيفة في النص.

ج) . التكرار التركيبي والدلالي :

فهو كذلك من التكرار الذي يظهر في أسلوب الحكيم في القرآن الكريم ، فتجد نفس التركيب بنفس الدلالة ، ونفس الدلالة مع اختلاف التركيب ، وقد يكون ذلك في الجواب ، كما في قوله : ﴿..**قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** ...﴾[4] .

ومن نفس السورة ، في قوله : ﴿..**قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** ...﴾[5] .

هكذا نرى أنه لا فرق بين التركيبين لا في المعنى ولا في اللفظ ، إلا في المخاطبة من التذكير للتأنيث بتغير الحركة من الفتحة إلى الكسرة (كَذَلِكَ ، كَذَلِكِ) ، (رَبُّكَ ، رَبُّكِ) ، فقد تكرر التركيب بلفظه ومعناه بين القصتين في نفس السورة في أسلوب الحكيم .

---

1 . سورة الأعراف ، الآية : 187.

2 . سورة الإسراء ، الآيات : 85 .

3 . سورة يس ، الآيات : 77 – 79 .

4 . سورة مريم ، الآيات : 7 – 9.

5 . سورة نفسها، الآيات : 20 – 21.

وقد يكون في السؤال – أيضا –كما في قوله من "سورة يونس" : ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟...**﴾[1] ، هو نفسه في "سورة النمل" في قوله : ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟...**﴾[2] . نفس التركيب بنفس الدلالة .

وأيضا ما جاء في "سورة الأعراف " في قوله – تعالى – : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا؟...**﴾[3] ، نفسه في "سورة النازعات" في قوله : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا؟...**﴾[4] ، ونكمل الجواب في هذه الآية حتى نبين أسلوب الحكيم فيها ، وهو قوله : ﴿**فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾[5] .

فبيان أسلوب الحكيم كما جاء في التحرير والتنوير أن : «ظاهر حال السؤال من طلب المعرفة بوقت حلول الساعة واستبطاء وقوعها الذي يرمون به إلى تكذيب وقوعها ، فأجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم ، أي إن طال تأخر حصولها فإنها واقعة وأنهم يوم وقوعها كأنه ما لبثوا في انتظار إلا بعض يوم»[6].

ومثال التكرار في الدلالة مع الاختلاف في التركيب ، قوله في "سورة مريم" من كلام زكريا – عليه السلام – : ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا...**﴾[7] ، وفي نفس السورة كلام مريم – عليها السلام – : ﴿**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا...**﴾[8] .

1. سورة يونس ، الآيات : 48 – 49
2. سورة النمل ، الآيات : 71، 72
3. سورة الأعراف ، الآية : 187
4. سورة النازعات، الآية : 42
5. سورة نفسها، الآيات : 43 ، 46
6. محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 30/ 98.
7. سورة مريم، الآيات : 7 – 9
8. سورة مريم، الآيات : 20، 21

فالمعنى مشترك بينهما وهو واحد ، فكلاهما يسأل متعجبا عن وجود الغلام من غير توفر أسبابه الظاهرة ، والتركيب اختلف في ذكر كل واحد منها حالته ووضعه الذي ينتفي معه وجود الغلام حسب مقتضى الأسباب الظاهرة .

وأيضا من التكرار الدلالي والاختلاف في التركيب ، قوله تعالى في "سورة القيامة" : ﴿**يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**...﴾[1] ، وفي "سورة الذاريات" قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ**...﴾[2] ، الدلالة نفسها كلاهما يسأل عن تحديد زمن يوم القيامة وهو نفسه يوم الدين ، إنما الاختلاف في اللفظ فقط ، وفي عدد السائلين ، ففي الأول واحد وفي الثاني جمع ، مما جعل التركيب مختلف بين الصيغتين .

وهذا التكرار في التركيب أو الدلالة يبين أهم القضايا التي عالجها القرآن عن طريق أسلوب الحكيم ، والتي كانت تمثل الشغل الشاغل للسائلين والمخاطَبين والتي منها : ما يتعلق بالخالق عز وجل ، ومنها ما يتعلق بكيفية الخلق والوجود من عدم ، ومنها ما يتعلق بالرسل والرسالات ، والبعث والجزاء ، والقيامة والدار الآخرة ، والاتهامات والتكذيب وغير ذلك ، وهذا ما يكسي أسلوب الحكيم قيمته ، أنه هادف ومقصود ، وهو جزء مهم من الخطاب القرآني وأساليبه الإقناعية المختلفة التي لها دورها وأثرها في المتلقين .

د) . تكرار جناس الاشتقاق :

وهذا أيضا ورد في العديد من أمثلة أسلوب الحكيم في القرآن الكريم ، وهو اشتراك الكلمات في أصل المادة الواحدة التي يشتق منها ، يقول عبد العظيم المطعني : «لأنهما يرجعان في اللفظ إلى أصل واحد»[3] ، مع بعض التغير في الشكل وفي بعض الحروف .

---

1 . سورة القيامة ، الآية : 6 .

2 . سورة الذاريات ، الآية : 12 .

3 . انظر عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ) : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، ط/1 ، سنة : 1413 هـ – 1992 م ، 2/ 466.

وهذا النوع من التكرار تكمن قيمته الأسلوبية في أنه يهز مشاعر ووجدان المتلقي بما فيه من تنبيه عن طريق هذا الاشتراك ، وبما يحدثه من نغمة ورنة ، فيستيقظ لها المتلقي ويعي ما يقال له ، وينتبه لما يراد منه .

ومن ذلك قوله – تعالى – : ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[1] .

فجناس الاشتقاق يتمثل في قوله : ﴿**يُنْفِقُونَ**﴾ ، ﴿**أَنْفَقْتُمْ**﴾ .

وقوله – تعالى – : ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ**﴾[2] .

نرى جناس الاشتقاق في كلمة ﴿**تَعُودُوا**﴾ ، و ﴿**نَعُدْ**﴾ .

وأيضا قوله – تعالى – : ﴿**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾[3] .

وجناس الاشتقاق في كلمة ﴿**زَادَتْهُ**﴾ ، و ﴿**فَزَادَتْهُمْ**﴾ .

وفي قوله – تعالى – : ﴿...**قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ**﴾[4] . وجناس الاشتقاق في ﴿**ضَلَالٍ**﴾ ، ﴿**ضَلَالَةٌ**﴾ .

ومثله من "سورة الأعراف" : ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾[5] . ويتمثل جناس الاشتقاق في ﴿**مُرْسَلٌ**﴾ ، ﴿**أُرْسِلَ**﴾ .

---

1. سورة الذاريات ، الآية :215 .
2. سورة الأنفال ، الآية : 19 .
3. سورة التوبة ، الآيات : 124، 125 .
4. سورة الأعراف، الآيات : 59 – 62 .
5. سورة نفسها ، الآية : 75 .

وقال تعالى : ﴿..**قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[1] ، وجناس الاشتقاق في ﴿**يُحْيِ**﴾ ، ﴿**يُحْيِيهَا**﴾ .

وأيضا قوله – تعالى – : ﴿**يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ**﴾[2] ، وجناس الاشتقاق تمثل في قوله : ﴿**يُفْتَنُونَ**﴾ ، ﴿**فِتْنَتَكُمْ**﴾.

وقوله – تعالى – : ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ**﴾[3] ، جناس الاشتقاق في : ﴿**سَأَلَ**﴾ ، ﴿**سَائِلٌ**﴾ .

وأما من حيث بيان أسلوب الحكيم فيها، فيقول ابن عاشور : «السائل سأل عن عذاب غير موصوف ، أو الداعي دعا بعذاب غير موصوف ، فحكي السؤال مجملا ليرتب عليه وصفه بهذه الأوصاف والتعلقات ، فينتقل إلى ذكر أحوال هذا العذاب وما يحف به من الأهوال ... وهذه الأوصاف من قبيل أسلوب الحكيم لأن ما عدد فيه من أوصاف العذاب وهوله ووقته هو الأولى لهم أن يعلموه ليحذروه ، دون أن يخوضوا في تعيين وقته ، فحصل من هذا كله معنى : أنهم سألوا عن العذاب الذي هددوا به عن وقته ووصفه سؤال استهزاء ، ودعوا الله أن يرسل عليهم عذابا إن كان القرآن حقا ، إظهارا لقلة اكتراثهم بالإنذار بالعذاب . فأعلمهم أن العذاب الذي استهزأوا به واقع لا يدفعه عنهم تأخر وقته ، فإن أرادوا النجاة فليحذروه»[4].

ح) . تكرار المشاكلة :

وكذلك من أنواع التكرار الحاصل في أسلوب الحكيم ؛ تكرار ما يسمى عند البلاغيين بـ "المشاكلة" ، وقد ذكرنا هذا النوع بالذات وخصصناه بالذكر لأنه ورد وتكرر في العديد من أمثلة أسلوب الحكيم في القرآن بشكل بيِّن وظاهر ، فهو يتوافق ومقصد هذا الأسلوب في تلقي

---

1. سورة يس، الآيات : 77 – 79.
2. سورة الذاريات، الآيات : 12 – 14.
3. سورة المعارج، الآيات : 1 ، 3
4. محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 29/ 156.

المخاطَبين والسائلين بغير ما يترقبون وبغير ما يتطلبون ، ولذا يعتبر من الظواهر الأسلوبية البارزة في هذا الأسلوب القرآني .

والمشاكلة في اللغة معناها : (المشابهة والمماثلة)[1]، وهي من أقسام البديع المعنوي ، وتعني الاتفاق في اللفظ مع الاختلاف في المعنى ، وذلك بأن تصحب كلمةٌ كلمةً في التركيب تكون مثلها أو مشابهة لها ، لكن تحمل معنى آخر مخالف غير معناها ، أو هي مقابلة الكلام بمثله ولا يكون في معناه ، وقد عرفها البلاغيون بأنها : «ذكر الشيء بلفظ غيره ؛ لوقوعه في صحبته؛ تحقيقا، أو تقديرا»[2]. أي أن الشيء الثاني الذي نُعبر عنه بتلك اللفظة المصاحبة والمماثلة للكلمة الأولى المصحوبة يكون في الأصل لا تطلق عليه تلك الكلمة المصاحبة ، لكن أطلقت عليه هنا من باب المشاكلة .

ومن أمثلتها في الحقيقية ، قوله – تعالى – : ﴿**وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[3] .

فالمشاكلة في لفظ "أذن" ، فقد جاءت الثانية مصاحبة للأولى وعلى شاكلتها ومشابهة لها قصد إحداث المشاكلة والتباين ، فهي في الأولى يراد بها السماع للصدق والكذب، وهذا يعيب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقدح فيه ، وفي الثانية بخلافها وعلى غير معناها بأنه مصدر خير ويسمع ولا يأخذ إلا الحق والصدق وهذا مدح لرسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ورفعة له .

وبمعنى آخر فإن مقابلة "أذن" بمثلها لا يسمى في الأصل كذلك في الثانية ، فلفظ أذن لا تطلق إلا على من يلتقط الأخبار في الشر ويفسد وينمم وينقل الكلام ، فهو في الأولى اسمها الفعلي ، وفي الثانية ليس باسم لها ، ولكن سوغ هذا الإطلاق في الثانية لداعي المشاكلة ، وقصد

---

1 ـ انظر عبد الرحمان حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، 797/1 .

2 ـ عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: 1391هـ) ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، ط / 17 ، سنة النشر: 1426هـ-2005م، 588/4 .

3 ـ سورة التوبة ، الآية : 61.

الرد لدفع مقولتهم وإبطالها ، وليعطي اللفظ معنى المماثلة في السماع ، مع التباين في الإطلاق والأداء .

ولذا فالمعنى المشترك المتبادر بينهما هو إن قلتم "أذن" فلنفترض أنه كذلك ؛ بمعنى أنه يسمع كلامكم ، ولكن ليس كما تعتقدون وتدعون ، وعليه تغير المعنى وأصبح لكل واحدة معنى خلاف الأخرى ، فقولهم : ﴿**وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ**﴾ بمعنى أنه سمّاع لكل ما يقال من خير أو شر ومن كذب وصدق ويقبله ، وقوله في الرد عليهم : ﴿**قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ**﴾ مبايّن للمعنى الأول وإن اشترك معه في اللفظ ، أي أنه يسمع الخير ويعرف الصادق من الكاذب ، ولا يقول إلا الحق والصدق .

ومثل ذلك في قوله – تعالى – : ﴿**سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ...**﴾[1] ، وتمثلت المشاكلة في : ﴿**لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ**﴾ ، ﴿**فَأَعْرِضُوا عَنْهُم**﴾ ، فاللفظ الأول "لتعرضوا" يراد منه العفو والمسامحة والتجاوز ، والثاني "فأعرضوا" أمر بالإعراض ، لكن لا يراد به الاستجابة لطلبهم ليعفو عنهم ؛ بل يراد به المقاطعة أي أمروا بمقاطعتهم .

وأيضا قوله — تعالى– : ﴿**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾[2] .

وتمثلت المشاكلة في الفرق بين المعنيين في لفظ الزيادة الوارد في العبارتين : ﴿**فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾، ﴿**فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا**﴾، فكل معنى مبايّن للآخر، فالإيمان معاكس ونقيض للرجس (الشرك) وبالتالي زيادة الإيمان رفعة وخير وتطلق عليها الزيادة في الأصل، والأخرى وضعة وشر ولا زيادة فيها في الأصل، ولكن أطلقت عليها الزيادة من باب المشاكلة لمصاحبتها للأولى، والتباين واضح في الزيادة بين الرجس والإيمان، فنجد الإيمان في ارتفاع وعلو مع تلاوة الآيات، والرجس في نزول وانخفاض.

1 . سورة التوبة ، الآية : 95.

2 . سورة نفسها ، الآيات : 124، 125.

وكذلك قوله : ﴿**يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾[1] ، فقد تمثلت المشاكلة في : ﴿ **لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ**﴾ ، ﴿ **فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ**﴾ ، ففي الأولى طلب للرضا عنهم ومسامحتهم ، وفي الثانية نفي لقبول هذا الطلب زيادة في التنكيل بهم ، فاستعملت هنا مشاكلة لما تقدم ، أي أنه في الثانية لا يعتبر إعراضا ، بل في الأصل مؤاخذة ، وكان المعنى يؤدى بقوله : ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ لولا المشاكلة.

وبيان أسلوب الحكيم في هذه الآية ، أنهم يطلبون الرضا عنهم بعد فعلتهم في التخلف عن الغزو ، ولا يقصدون بذلك إرضاء المسلمين ، ولكن أرادوا الفلات من العقاب ، فتلقاهم القرآن بغير ما يتطلبون ، وحمل كلامهم على غير ما يريدون ، وأمر بعدم الرضا عنهم لأن الله غير راض عنهم لفسقهم وتمردهم عن الامتثال للأمر حين الخروج للقتال .

فنرى من هذه الأمثلة أن المشالكة لها قوة وأثر في سمو الأسلوب ورفعته ، ولها الدور البارز في تغيير وتقرير المعنى بما يتوافق وأسلوب الحكيم في تلقي المخاطَب بغير ما يترقب أو السائل بغير ما يتطلب ، وأيضا تكثف المعنى للفظ الواحد بتغير دلالاته حسب السياق الذي هي فيه ، فيشترك اللفظ في كلا الموقعين من التركيب في البنية السطحية ويختلفان في البنية العميقة ، وذلك بأن المعنى الجديد الذي حصل في اللفظ مكَّن المشاكلة في السياق، وجعل السياق في حاجة شديدة إليه، ولا غنى له عنه ، وبالتالي تمتدُّ المشاكلة إلى ما وراء السياق الظاهر من الألفاظ لتصل بنا إلى الأعماق .

فاللفظان في الحقيقة متفقان في الشكل ولكنهما اختلفا في المضمون، ومن هنا لا يمكن للفظ المشاكل أن يأتي مجرداً تماماً من معناه الحقيقي الظاهر والمتبادر ، وإنما بفعل التفاعل داخل السياق جعله يحمل دلالات أخرى عميقة غير متبادرة للوهلة الأولى ، فتضاف إلى المعنى المقصود في البنية العميقة ، وهذا هو أحد القيم الجمالية الأسلوبية للمشاكلة ، ويكمن فيه سرّ تأثيرها في المتلقي .

---

1 . سورة نفسها ، الآية : 96.

كما أنها تؤدي دورا موسيقيا بما فيها من توازن وجرس ، له تأثيره في المتلقي ، وذلك بإيقاع المشاكلة الصوتية بين اللفظين ، فتثري الإيقاع الداخلي للصياغة ، مثلها مثل الجناس التام تماما ، يقول عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني : «فإن المشاكلة من أساليب البلاغة الأصيلة .. ولها فوق ما تؤديه من خدمة للمعاني وظيفة من حيث اللفظ لا يُستهان بها ، هي: أن المشاكلة بالجُناس من حيث تماثل اللفظين، بل من الجُناس التام لاتفاق اللفظين في جنس الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها ، ولا فرق بينها إلا من حيث المعنى .. وما دامت المشاكلة شبيهة بالجُناس – بل التام منه – فإن ما يثبت له من مزايا يثبت لها كذلك»[1].

وأما أمثلة المشاكلة التقديرية نذكر قوله – تعالى – : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَافَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[2] . يقول ابن عاشور في بيان أسلوب الحكيم في الآيتين : « ... تخريجا للكلام على الأسلوب الحكيم بحمل استفهامهم على ظاهره تنبيها على أن اللائق بهم أن يسألوا عن حكمة ما أراد الله بتلك الأمثال ، فيكون قوله : ﴿**يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا**﴾ ، جوابا لهم وردا عليهم وبيانا لحال المؤمنين»[3] .

أما فيما يتعلق ببيان المشالكة في هذا المثال فيقول عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني : «وهي مشاكلة من النوع الثاني الذي ذكروه في قولهم: " المشاكلة" : "هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً ".

---

1. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ) ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، ط / 1 ، سنة الطبع : 1413 هـ – 1992 م ، 427 / 2 .
2. سورة البقرة ، الآيات : 26 . 27 .
3. محمد الظاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 1/ 365.

فهي مشاكلة تقديرية ، وذلك بناء على ما ذكره المفسرون ، فالزمخشري يقول : " ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة ، فقالوا : أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب – إشارة إلى قوله تعالى: (لن يَخْلقُواْ ذُبَاباً) ، فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال – وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام :

مَنْ مُبْلِغُ أفْنَاءَ يَعْرُبَ كُلِّهَا *** أني بَنِيتُ الجَارَ قَبْلَ المنزِلَ

ويلاحَظ أن اللفظ " المشاكل " هنا مجازي المعنى حقيقته الترك.

فمعنى : " إن الله لا يستحيي " أي لا يترك الضرب بالبعوضة ترك مَن يستحيي أن يمثِّل بها لحقارتها... لأن الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يُعَاب به أو يُذَم وهو بهذا المعنى مستحيل في جانب الله»[1] .

وبعد كل ما ذكرنا يمكننا القول بأن التكرار مفيد في إثارة المتلقي وشد انتباهه ، فهو ثمرة من ثمرات حسن الاختيار الذي يؤدي لتوليد المعنى وتكثيفه ، ووسيلة هامة في التعبير والتصوير ، وفي التأكيد والتنبيه على المراد ، بما يثير المتلقي ويجلب انتباهه .

4 . ظاهرة المفارقة :

تعني التبيان والتضاد ، جاء في معجم لغة الفقهاء : «المفارقة : بضم الميم وفتح الراء من فارقه: انفصل عنه وباينه»[2] . فهي أسلوب من أساليب التعبير عن المعنى بشكل مخالف للظاهر ، فيظهر التباين من خلال هذا التعبير ، وهي في أسلوب الحكيم –كما سنرى – ظاهرة قوية ، نظرا للسمات البارزة التي تميز أسلوب الحكيم عن غيره من الأساليب الأخرى ، والتي منها مخالفة المتلقي والسائل والرد عليهما بخلاف مرادهم وبغير ما يترقبون .

كما أن المفارقة عدة أنواع قد تكون في اللفظ الواحد الذي يحمل دلالات عدة فتظهر بعض هذه الدلالات في ظاهر السياق بمعنى ، وهي تدل على معنى آخر مقصود مناقض للظاهر ، وقد

1 . عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، 456/ 2 .

2 . محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي: معجم لغة الفقهاء، ص: 445.

تكون بين أشياء مختلفة في حقيقتها أو متقابلة في دلالتها ، بقصد بيان التباين أو التضاد أو التعارض ، أو الاختلاف أو التعاكس أو التناقض أو التقابل ، أو .. الحاصل بينها .

وهي من الإجراءات الأسلوبية الفاعلة والفعّالة في تجسيد القيمة الجمالية للأسلوب الحكيم، لما تنتجه من فارق دلالي بسبب الاختلاف الذي توقعه بين المعاني، فيدفع بالمتلقي إلى كدّ ذهنه واستثارة فكره للتأمل العميق في تلك المتناقضات، فهي عبارة عن وسيلة أسلوبية أو منبه أسلوبي يبرز المعاني ويجليها ويوقظ إحساس المتلقي بمضاعفة التأثير عليه فيشد انتباهه للوصول إلى المعنى المقصود ، ويتجلى ذلك جليا من خلال القرآن الكريم – مثلا – في التقابل الحاصل بين تهكم واستهزاء وسخرية الكافرين وبين الرد القرآني عليهم ، كما رأينا في الغرض الغالب من أسئلتهم التي مرت بنا سباقا ، وبالتالي تكون المفارقة داعي من دواعي قبول المعنى الجديد المراد إيصاله للمخاطَب.

وأول ما نبدأ به في هذه الظاهرة الأسلوبية ، هو :

أ) . المفارقة اللفظية :

يقول محمد العبد : «هي شكل من أشكال القول يساق فيه معنى ما حين يقصد منه معنى آخر يخالف غالبا المعنى السطحي الظاهر» [1] . أي أن المفارقة تكون في كلمة تحمل معنى ما ، لكن تستخدم في سياق معين فيراد منها معنى آخر مضاد الذي هو المعنى الخفي في العمق لا الظاهر في السطح .

ومن أمثلة ذلك لفظ "ذوقوا" من قوله – تعالى – : ﴿**يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ**﴾[2] .

المعروف أن الدلالة الظاهرة في الذوق تكون للجيد من الطعام وتكون أيضا للإكرام والتباهي بجودة المطعوم ، لثقة صاحب الطعام بطعامه ، (ولكنها في الاستخدام المفارقي الخاص وضعت مع

---

1 . محمد العبد: المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي ، ط/1 ، سنة : 1415هـ ، 1994م، ص 71.
2 . سورة الذاريات ، الآيات : 12 ، 14.

ألفظ تتضاد "أو تتناقض" معها في الدلالة)[1] ، فالمعنى الخفي المضاد والمقصود هو ذوق العذاب (أي الفتنة) لا الطعام ، وذلك تحقيرا وأهانه لهم .

فهذه المفارقة تكمن قيمتها الأسلوبية بأنها تثير القارئ حين يحس بالمغايرة والتعاكس بين الدلالة الظاهرة والباطنة وبين الاختلاف الثنائي القائم بين المعنى والمبنى ، يضطره للكشف عن المقصود الخفي .

ب) . مفارقة التقابل :

وتقوم على موقفين أو معنيين متضاربين أو متضادين تماما ، لكل موقف أو معنى منهما نظرة تناقض نظرة الموقف الثاني أو المعنى الثاني . وهي (من الأدوات الأسلوبية التي تزيد البنية الدلالية للمفارقة عمقا وقوة وتأثيرا)[2] .

ومن المفارقات في هذا النوع ما جاء في قوله – تعالى – : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[3] .

ونذكر كلام السيوطي لبيان هذا النوع من المفارقة ؛ حيث يقول: «قابل بين (بعوضة فما فوقها) وبين (فأما الذين آمنوا) و (وأما الذين كفروا) وبين (يضل) و (يهدي) وبين (ينقضون) و (ميثاقه) وبين (يقطعون) و (أن يوصل) »[4] .

---

1 . انظر المرجع السابق : ص : 73 .

2 . انظر محمد العبد: المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، ص : 96 .

3 . سورة البقرة الآيات : 26 ، 27 .

4 . جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، 3/ 327.

ومنه المفارقة بين "لا تستأخرون" و "لا تستقدمون" في قوله – تعالى – : ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ**﴾[1].

وهو مفارقة تقابل بين معنيين مختلفين متضادين.

ج) . مفارقة المفهوم :

تقوم أساسا على التناقض الموجود بين تصرفات الإنسان وبين الشيء المطلوب واللائق به ، أو بين موقفين متضادين وما يجب أن يكون عليه الأمر .

من ذلك المفارقة بين فعلين أو سلوكين أو صفتين ، مثل "الاستعجال بالسيئة " و "الاستعجال بالحسنة" في قوله – تعالى – : ﴿..**قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[2]، المفارقة أن الأول سلوك الاستعجال باتخاذ السيئة ، والثاني مضاد له وهو سلوك الاستعجال باتخاذ الحسنة .

وأيضا من أمثلة مفارقة المفهوم قوله – تعالى – : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[3]. فالمفارقة بين مفهومين وتصرفين الأول "وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها" وهذا تصرف حسب مفهوم وتصور المشركين للبر بأنهم يأتون البيوت من ظهورها أثناء الإحرام ، وهذا مفارق ومضاد للثاني "ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها" وهو التصرف السليم لمفهوم وتصور الإسلام للبر بأنه يتمثل في التقوى وليس الدخول من ظهور البيوت ، وهذا ما يجعل المفارقة من ظواهر الأسلوب الحكيم لأنه فيها تلقي السائل بغير ما يتطلب.

ومثل قوله – تعالى – : ﴿**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا**

---

1 . سورة سبأ ، الآيات : 29، 30

2 . سورة النمل ، الآيات : 45، 46.

3 . سورة البقرة الآية : 189.

إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[1] . المفارقة بين مفهومين الأول يقول أن السورة لا تزيد في الإيمان ، وهو تصور المشركين ويستحيل ذلك ، والثاني ما بينه الله تعالى وهو الحقيقة الأكيدة ، بأنها تزيد في إيمان المؤمنين وتزيد أيضا في كفر الكافرين ، وهو مضاد للأول ومفارق له.

وأيضا قوله – تعالى – : **﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾**[2] .

قول محمد العبد: «وقد جاءت هذه الآيات في مقام المقابلة بين هؤلاء الذين أحسنوا العمل والعبادة من المؤمنين، فأكرمهم الله بالجنة،وأولئك الكفار الذين يطمعون في الجنة، ولم يعملوا لها!.

ويمكننا أن نعد ذلك أيضا من التضاد أو التناقض الظاهر ، وهو وجه من وجوه المفارقة ، وهو عبارة عن قضية تبدو باطلة ولدرجة السخف ، ولكنها بعد ذلك تجتهد أن يصير لها معنى معقول أو منطقي ، وعادة ما يكون هذا المعنى مفاجئا أو غير متوقع»[3] .

د) . مفارقة المفاجأة :

تقوم هذه المفارقة على مخالفة ما يتوقعه المرء في الموقف الذي يمرّ به فيفاجأ بحالة مغايرة تماما لما في ذهنه ولما يتوقعه . والأصل في أسلوب الحكيم أنه ينبني على إحداث هذه المفارقة لمفاجأة المتلقي ، وهي في القرآن ظاهرة وبارزة .

مثال ذلك قوله – تعالى – : **﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾**[4] . ومفارقة المفاجأة هنا أنه أعرض عن الجواب وفاجأهم بانتظار العذاب الذي هو أجدر بهم بأن ينتظروه بدل الجواب ، وهذه المفاجأة تقرع سمعهم لتحدث نوعا من الرعب الذي يثير حفيظتهم ويجعلهم يتراجعون عن غيهم وتحكمهم وقد جاء

---

1 . سورة التوبة ، الآيات : 124، 125

2 . سورة المعارج ، الآيات : 36 – 38.

3 . محمد العبد : المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة ، ص : 191.

4 . سورة يونس ، الآية : 20 .

بالفعل "انتظروا"، لأنه يدل على الهلاك فجأة ، ويوحي بشدة الأخذ بسرعة بين نزول الآية ومهلكهم .

ومثل ذلك في قوله – تعالى – : ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**﴾[1] . يقول ابن عاشور : «أسلوب الكلام خارجا على أسلوب الحكيم إعراضا عن جوابهم لأنهم لم يقصدوا حقيقة الاستفهام ، فأجيبوا بأن ما أعد لهم من العذاب هو الأجدر بأن ينتظروه»[2] .

وهنا أيضا مفارقة المفاجأة ؛ حيث أعرض عن إجابتهم وتلقاهم بالمفاجأة المنتظرة التي لا يتوقعونها ولا يحسبون لها حسابها ، وهي الصيحة المذهلة والمدهشة التي تأخذهم فجأة فتهلكهم ، ولا تمهلهم بوصية ولا تسمح لهم بفرصة للرجوع إلى أهلهم ، ﴿**فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ**﴾[3] .

فالقيمة الأسلوبية للمفارقة تحدث من جراء المفاجأة والدهشة التي يحدثها الخطاب بخروجه عن المألوف ، وتخييبه لأفق المتلقي ، بما يُبْرِزُه من دلالات مكثفة في الألفاظ والمعاني وأضدادها ، فتقرع سمع المخاطَب وتتلقاه بغير ما يتوقع ، فتأثر فيه وتثير انفعاله .

وبهذا ننهي الحديث عن أهم الظواهر الأسلوبية لأسلوب الحكيم وبيان القيمة الكامنة في ذلك، لنختم الفصل بملخص يجمع أهم النقاط فيه .

1 . أسلوب الحكيم من الأساليب المعتبرة في التعبير القرآني ووجوه مخاطباته ، وله قيمته الأسلوبية والبلاغية وجماليته الفنية ، وله أثره البلاغي والأسلوبي في المتلقي ، فهو من الأساليب الموجّهة إلى الّنفس ، ليلهب مشاعرها ، ويستثير كوامنها ، ويشحذ تفكيرها ليصل إلى أعماقها فيثيرها ويؤثر فيها .

---

1 . سورة يس ، الآيات : 48 ، 49 .

2 . محمد الظاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، 23/ 34.

3 . سورة يس ، الآية : 50 .

2 . تكمن القيمة البلاغية لأسلوب الحكيم في عدوله عن مقتضى الظاهر لاعتبار ما ، يراد منه مراعاة الحال ، للوصول إلى غرض معين ، يحمل فكرا يؤثر به في المتلقي ؛ بما يحدثه من مفاجأة تؤدي إلى إثارته .

3 . إن أغراض أسلوب الحكيم المختلفة لا يمكن أن تكون مقاصد في ذاتها ينتهي الأمر عند تحقيقها وبلوغها دون العناية بقيمتها البلاغية وسرّ جمال صياغتها في أداء المعنى المقصود بما يعطي لأسلوب الحكيم مكانته بين الفنون البلاغية.

4 . أسلوب الحكيم كغيره من الأساليب الأخرى ليس على درجة واحدة من البلاغة في كل أغراضه ، ولا على رتبة واحدة في قيمته ، وإنما يتفاوت من غرض لآخر حسب المعنى المراد بلوغه وإيصاله للمخاطَب ، ومع هذا وإن اختلفت الدرجات والمراتب يبقى أسلوب الحكيم فن بديعي له قيمته البلاغية بإثارته للانتباه وتنشيطه للعقول مما يستدعي التفكير والتدبر في المعاني الجديدة.

5 . القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم تكمن في التخالف الحاصل بين قصد المتلقي وبين ما يريده الملقي ، بحمله لكلام المتلقي على دلالة أخرى مخالفة لقصده ومراده ، مراعاة للحال والموقف ، فيحدث بذلك مفاجأة تؤثر في المتلقي تؤدي إلى إثارته وشد انتباهه نحو الدلالة المقصودة.

6 . القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم تكمن في الانحراف بالصياغة من الظاهر إلى ما هو أولى وأهم ، مع الزيادة في الإفادة ، فتتكثف الدلالة في العمق ، فيندفع السائل لمعرفة أسباب الانحراف ومقصد المتكلم .

7 . القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم في القرآن الكريم تبرز من تلقين المعرفة وإيقاظ الوعي وزيادة الفهم وتنشيط الفكر ، مع الوضوح الذي يكتسي الألفاظ المستعملة من حيث الدقة في الدلالة ، والدقة في تحديد المقصود بما يتناسب ومكانتها ، فلا تحدث غرابة عند المتلقي رغم ما تحدثه من مفاجأة .

8 . هناك العديد من الظواهر الأسلوبية البارزة لأسلوب الحكيم في القرآن الكريم ، منها الاختيار والانزياح والتكرار والمفارقة .

الخاتمة

ونحن نقف على نهاية البحث ، يمكن القول أن أسلوب الحكيم في القرآن الكريم لا يزال يحتاج للدراسة بعد أن تبين لنا وضعيته في النص القرآني كأسلوب من أساليب القرآن الكريم ، وأنه يمكن للباحث أن يتعمق في العديد من جزئياته وبيان ما فيها ، بعد أن وضعناه أمام صورة هذا الأسلوب في القرآن ، وهذا هو الإشكال الذي أشرنا له في المقدمة ،وقد خرجنا بالملخص التالي الذي يبين أهم النقاط التي دارت في البحث :

1 . أسلوب الحكيم ضرب من ضروب البلاغة العربية، تعرض له الأولون في علم المعاني ضمن مواضيع خروج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، ثم أصبح نوعا من أنواع المحسنات المعنوية في علم البديع ، وقد كانت بداياته حين أشار له الجاحظ في البيان والتبيين ، وأول من خصه بالحديث وسماه وقعد له ، السكاكي في مفتاح العلوم.

2 . المفهوم اللغوي لكل من "الأسلوب" و "الحكيم" له ارتباط بالأسلوب الكلامي وإحكامه ، وقد خلصنا من خلال ذلك إلى أن أسلوب الحكيم في اللغة ، هو : «طريقة الكلام المحكمة في التعبير عن المقصود» . وبهذا يظهر لنا مدى الارتباط بين المفهوم اللغوي ، والمفهوم الاصطلاحي لهذا الفن البلاغي.

3 . أسلوب الحكيم نوعان ، أولهما تلقي المخاطَب بغير ما يترقب ، دون سؤال أو جواب ، وذلك بحمل كلامه على خلاف مراده ، وثانيهما ما يجيء في مقام السؤال والجواب ، وهو تلقي السائل بغير ما يتطلب بالعدول عن الجواب ، تنبيها لهما على الأهم و الأولى بهما ، أو قصد غرض آخر يريده المخاطِب.

4 . لأسلوب الحكيم أغراض بلاغية متعددة ، منها : التنبيه على اللائق والأهم ، والتَخَلُص ، والتعريض ، والتلطف ، والتأدب ، و التظرف ، والدعابة ؛ والصرف ، والإبطال ، والتهديد ،

والإنكار ، والتهكم ، ولكل منها هدف معين ، سيق بحكمة للتأثير في السامع ، ولإثارة فكره لتنبيهه على اللائق والأولى به ، أو غير ذلك من الأغراض والمقاصد .

5 . أغراض أسلوب الحكيم المختلفة لا يمكن أن تكون مقاصد في ذاتها ينتهي الأمر عند تحقيقها وبلوغها دون العناية بقيمتها البلاغية وسرّ جمال صياغتها في أداء المعنى المقصود بما يعطي لأسلوب الحكيم مكانته بين الفنون البلاغية.

6 . أسلوب الحكيم كغيره من الأساليب الأخرى ليس على درجة واحدة من البلاغة في كل أغراضه ، ولا على رتبة واحدة في قيمته ، وإنما يتفاوت من غرض لآخر حسب المعنى المراد بلوغه وإيصاله للمخاطَب والتأثير فيه .

7 . يعتبر أسلوب الحكيم من الأساليب المعتبرة في التعبير القرآني ووجوه مخاطباته ، له قيمته الأسلوبية والبلاغية وجماليته الفنية ، وله أثره البلاغي والأسلوبي في المتلقي ، فهو من الأساليب الموجّهة إلى النّفس ، ليلهب مشاعرها ، ويستثير كوامنها ، ويشحذ تفكيرها ليصل إلى أعماقها فيثيرها ويؤثر فيها .

8 . تكمن القيمة البلاغية لأسلوب الحكيم في عدوله عن مقتضى الظاهر لاعتبار ما ، يراد منه مراعاة الحال ، للوصول إلى غرض معين ، يحمل فكرا يؤثر به في المتلقي ؛ بما يحدثه من مفاجأة تؤدي إلى إثارته .

9 . القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم تكمن في التخالف الحاصل بين قصد المتلقي وبين ما يريده الملقي ، بحمله لكلام المتلقي على دلالة أخرى مخالفة لقصده ومراده ، مراعاة للحال والموقف ، فيحدث بذلك مفاجأة تؤثر في المتلقي تؤدي إلى إثارته وشد انتباهه نحو الدلالة المقصودة.

10 . القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم تكمن في الانحراف بالصياغة من ظاهر إلى ما هو أولى وأهم ، مع الزيادة في الإفادة ، فتتكثف الدلالة في العمق ، فيندفع السائل لمعرفة أسباب الانحراف ومقصد المتكلم .

11 ـ القيمة الأسلوبية لأسلوب الحكيم في القرآن الكريم تبرز من تلقين المعرفة وإيقاظ الوعي وزيادة الفهم وتنشيط الفكر ، مع الوضوح الذي يكتسي الألفاظ المستعملة من حيث الدقة في الدلالة ، والدقة في تحديد المقصود بما يتناسب ومكانتها ، فلا تحدث غرابة عند المتلقي رغم ما تحدثه من مفاجأة .

12 ـ هناك العديد من الظواهر الأسلوبية البارزة لأسلوب الحكيم في القرآن الكريم ، والتي منها الاختيار والانزياح والتكرار والمفارقة ، ولكل منها صور وأشكال .

وفي الأخير نوصي بتجديد الدراسة في الموضوع قصد استكشاف كنوز هذا الأسلوب القرآني وإعادة الدراسة في آياته كما في الجدول الذي هو بالملحق للخروج بدراسة تكون أوسع وأشمل من هذه الدراسة وتغطي ما تبقى من جوانب الموضوع.

ملحق :

هذا الملحق هو عبارة عن جدول يلخص آيات أسلوب الحكيم ، فيشمل جميع الآيات التي تمت دراستها في البحث مرتبة كما هي معروضة في صفحاته ، مكتفين بذكر الآيات ورقمها وسورتها ، وبيان الأسلوب الحكيم فيها ، ثم ذكر نوعه وغرضه .

الرقم	الآيات	بيان الأسلوب الحكيم	نوعه	غرضه
1	﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التوبة: 61	جاء الرد من القرآن الكريم بغير ما يترقب هؤلاء ، بأن محمدا أذن كما قلتم لكنه على غير ما تقصدون فهو أذن خير لكم . يعرف الصادق من الكاذب .	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	الإبطال
2	﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ التوبة: 95	تلقاهم بغير ما يترقبون ، وحمل كلامهم على غير ما يريدون ، وأمر بالإعراض عنهم تماما ، لكن لا إعراض رضا كما طلبوا بل إعراض اجتناب ومقت .	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	التعريض
3	﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ الرعد: 31.	خاطبهم بغير ما يترقبون وبخلاف قصدهم لبيان فساد رأيهم ، فحمل كلامهم على خلاف مرادهم تنبيهاً على أن الأولى بهم أن ينظروا هل كان في الكتب السابقة قُرآن يتأتى بمثل ما سألوه.	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	التعريض
4	﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل: 101، 102	تلقاهم بخلاف قصدهم وبغير ما يترقبون فأبطل مرادهم ورد دعواهم على أنه مفتر بطريقة النقض ، بأن التبديل بمثابة التثبيت والبشارة للمسلمين ،	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	الإبطال

		وفيه تعريضا بحصول أضداد هذه الخصال للمثبطين .		
الإبطال	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	تلاقهم بغير ما يترقبون، وبغير ما قصدوا ، بحمل مقالهم على ظاهره ، لكن على خلاف مرادهم ، بأنهم هم الأذلة ورسول الله ومن معه هم الأعزة ، تنبيها على أنه كان ينبغي لهم أن يقصدوا هذا المعنى .	﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون: 8.	5
الإبطال	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	حمل صفة الأبتر التي قالها العاص بن وائل للنبي صلى الله عليه وسلم على ظاهرها ، لكن بخلاف مراده وبغير ما يترقب ، على أنه هو الأبتر بمعنى الذي لا خير فيه.	﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ . الكوثر: 3.	6
التنبيه على اللائق والأهم	تلقي السائل بغير ما يتطلب	الجواب بغير ما يتطلبون وبخلاف قصدهم ، بأن اللائق بكم أن تعلموا أنها مواقيت وأنتم بحاجة إليها في عباداتكم لا أنها تزيد أو تنقص .	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة: 189.	7
التنبيه على اللائق والأهم	تلقي السائل بغير ما يتطلب	سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصرف ، إشارة إلى أنه كان ينبغي لهم أن يسألوا عمن ينبغي أن توجه لهم النفقة، أما الشيء الذي ينفقون منه ومقدار ما ينفقون فيعم كل ما يصلح للإنفاق .	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ البقرة: 215.	8

9	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ الأعراف: 187.	عدل في الجواب بخلاف ما يتطلبون لبيان خطئهم في السؤال عن وقت الساعة ، ثم وجَّهَهُم لما هو أهم وأولى من سؤالهم وهو الاستعداد لها ، لأنها تأتي فجأة وعلى حين غفلة .	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التنبيه على اللائق والأهم
10	﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يونس: 53.	أجيبوا بحمل سؤالهم على ظاهره قصد الإثبات ومع الزيادة في الجواب بغية التنبيه على أنه إذا جاء ما تسألون عنه فلن تفلتوا منه ولن تعجزوا الله في إلحاقه بكم ، فالأولى بكم والأهم لكم أن تقروا بهذه الحقيقة وتستعدوا لها .	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التنبيه على اللائق والأهم
11	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: 85 .	الجواب بخلاف مرادهم ، وعلى غير ما يتطلبون ، فقد سألوا عن الماهية ، فأجيبوا عن محدثها (وهو الله) وعلمه، تنبيها لهم على الأولى.	تلقي السائل بغير ما يتطلب	الصرف
12	﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا؟ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ يس: 52 .	سألوا عن الباعث ، فكان الجواب بخلاف مرادهم وبغير ما يتطلبون فصرفوا إلى البعث ، لبيان أهميته تقريعا وتوبيخا على تكذيبهم في الدنيا .	تلقي السائل بغير ما يتطلب	الصرف

13	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ النمل: 45، 46.	خاطبهم بغير ما يترقبون ، بأن اللائق بكم بدل استعجال العذاب أن تعجلوا التوبة ، لأنه إذا جاء لا يمهلكم حتى ترجعوا عن عنادكم .	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	التنبيه على اللائق والأهم
14	﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يس: 77 – 79 .	أُنْزِل السائلُ المستنكر منزلة من يتطلب علما ، تنبيها على أن اللائق أن يسأل عمّا يزيد في إيمانه ، بدل أن يستحيل وقوع الحياة في الأموات.	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التنبيه على اللائق والأهم
15	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام: 151.	تلقاهم بخلاف مرادهم ، فأثبت التحريم لكن ليس على ما اعتقدوه ؛ بل ما حرمه الله عليهم ، تعريضا على سوء صنيعهم فليس لهم حق التحليل والتحريم ، وكان الأولى بهم أن يتعلموا من الوحي .	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	التعريض
16	﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الأعراف: 164.	الجواب بخلاف مرادهم ، بأن موعظتنا إنهاء عذر إلى الله حتى لا ننسب إلى المفرطين في النهي عن المنكر وهذا موعظة لهم وتنزيلهم منزلة المعتدين في التخلي عن الواجب.	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التعريض
17	﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى	عُدِل في الجواب بحمل كلامه على ظاهره كأنه جِدٌ لا الاستهزاء فيه ، وأجيب بغير ما يتطلب بذكر الأهوال بدل	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التعريض

	رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ القيامة: 5 – 12.	تعيين الوقت .		
18	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: 59 – 62.	تلقاهم بخلاف مرادهم ، فنفى الضّلال عن نفسه ، ثم استطرد على الجواب ، قصد إثبات الرسالة لنفسه ، ولتنبيههم على التأمل فيما أتاهم به ، وفتح بصائرهم بأن تتطلب العلم بما لم يكونوا يعلمونه ، على سبيل التلطف لعلهم يهتدون .	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التلطف
19	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ الأعراف: 65 - 68 .	تلقاهم بخلاف مرادهم ، فنفى السفاهة عن نفسه ، ثم سلك معهم نهج الأسلوب الحكيم في الاستطراد بالزيادة على الجواب المطلوب ، قصد إثبات الرسالة لنفسه ، ولتنبيههم على التأمل فيما أتاهم به ، على سبيل التلطف لعلهم يهتدون .	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التلطف
20	﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ مريم: 7 – 9 .	عُدِل في الجواب من بيان الكيفية إلى بيان هون هذا الخلق على الله ، ثم استطرد لبيان تلك السهولة بأنه خلقه قبل ذلك ولم يكن موجودا ، وهو عليه هين .	تلقي السائل بغير ما يتطلب	الصرف

21	﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ مريم: 20، 21 .	عُدِل في الجواب من بيان الصفة إلى بيان هون هذا الخلق على الله ، ثم استطرد في الزيادة لبيان حكمة الله وإرادته من وراء هذا الخلق .	تلقي السائل بغير ما يتطلب	الصرف
22	﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة: 124، 125.	حُمِل استفهامهم على ظاهره وعُدِل به عن مقصدهم ، فأثبت أن للسورة زيادة في إيمان بعض الناس وأكثر من الزيادة ، وهو حصول الْبَشَرِ لهم . وارتُقِيَ في الجواب بأنها زائدة في كفرهم.	تلقي السائل بغير ما يتطلب	الإبطال
23	﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ الإسراء: 50 ، 51.	أمر النبي بأن يجيبهم إبطالاً للازم التهكم ، بإجراء ظاهر استفهامهم على أصله وحمله على خلاف مرادهم ، بأن الذي فطرهم أول مرة قادر على أن يعيدهم ثانية .	تلقي السائل بغير ما يتطلب	الإبطال
24	﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ المدثر: 31.	كان الجواب بحمل سؤالهم على ظاهره ، بأن عدتهم فتنة للذين كفروا ولاستيقان الذين أوتوا الكتاب ، وازدياد الذين آمنوا إيماناً ، وذلك بغرض قصد إبطال التخرصات التي يتخرصها الضالون ومرضى القلوب عند سماع الأخبار عن عالم الغيب وأمور الآخرة.	تلقي السائل بغير ما يتطلب	الإبطال

الإنكار	تلقي السائل بغير ما يتطلب	جاء الجواب بخلاف مرادهم وبغير ما يتطلبون بحمل سؤالهم على ظاهره ، بأنه لا يستطيع لنفسه ضرا ولا نفعا ، فكيف يتسبب في إتيان عذابكم الموعود حسبما تريدون؟ ، ثم استطرد في بيان أن الأجل مكتوب على كل أمّة .	﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يونس: 48 – 49 .	25
الإنكار	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	حمل كلامه على ظاهره من الوعد بقضاء الدين من المال الذي سيجده حين يبعث ، فالإنكار عليه قوله وأن ذلك سيكتبه الله عليه ، ويكون مصدر عذابه يوم القيامة ، وسيخرج من الدنيا فردا لا شيء معه.	﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ مريم: 77 ، 80 .	26
التهكم	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	هذا من تلقي المخاطَب بغير ما يترقب ، فقد طلبوا من الله أن ينصر ، فجاء قبول ظاهرة دعائهم بالنصر ولكن على غير ما طلبوا فيه، لقد طلبوا مجيء النصر فجاء النصر للمؤمنين عليهم .	﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال: 19 .	27
التهكم	تلقي السائل بغير ما يتطلب	حمل استفهامهم على الحقيقة ولكن على خلاف مرادهم ، إيذانا بقرب وقوعه ، تنبيهاً على أن حقهم أن يسألوا عن وقت الوعيد ليتقدموه بالإيمان.	﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ النمل: 71، 72 .	28

29	﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ الذاريات: 12 ، 14.	السؤال كان عن تحديد زمن حصول يوم القيامة ، فعُدل عن أن يجابوا بتعيين وقت ليوم القيامة ، فكان من مقتضى حالهم أن يُنذروا بما يقع لهم فيه ، حتى ينبهوا على التوقي من ذلك اليوم.	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التهكم
30	﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ يونس: 20.	طلبوا نزول الآيات ، فأجيبوا بخلاف مرادهم ، ولم تنزل الآيات ، بأن الغيب مختص به تعالى ، وانتظروا ما يوجبه اقتراحكم إني معكم من المنتظرين إياه.	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التهديد
31	﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ سبأ: 29، 30 .	السؤال عن الوقت وأرادوا به الكناية عن انتفاء وقوعه ، فجاء الجواب على ظاهره وبخلاف مرادهم ، بأن الأهم أن تتوجه هممهم إلى تحقق وقوع الوعد في الوقت الذي عينه الله له .	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التهديد
32	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال: 1.	سألوا عن كيفية تقسيمها ومن يقسمها منهم ، فأجيبوا بخلاف مرادهم وبغير ما يتطلبون ، بأن أمرها مفوض إلى اللّه ورسوله ، من غير أن يدخل فيه رأي أحد منكم .	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التنبيه على اللائق والأهم

33	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: 37.	فهم يترقبون نزول آية من الآيات ولكن جاء الرد بغير ما يترقبون وبخلاف الظاهر وذلك بتفويض الأمر إلى قدرة الله بأنه ينزلها متى شاء لا كما تريدون أنتم .	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	التعريض
34	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: 75.	مقتضى الظاهر أَن يقولوا : نعم أَو علمنا أَنه منه ، وعدلوا عنه لزيادة التصريح بأَنهم أَهل إِيمان به راسخ ، وللتنبيه على الأَولى بأَنه لا يشك في إِرساله عاقل فنحن مؤمنون به ولسنا ممن عاند من ذوى الرأي عن الإِيمان به.	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التعريض
35	﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ المعارج: 36 – 38.	جاء الرد بغير ما يترقبون ، بأسلوب الاستفهام إنكارا لتظاهرهم بالطمع في الجنة بحمل استهزائهم على خلاف مرادهم.	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	الإنكار
36	﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ المعارج: 1 ، 3 .	السائل سأل عن وقت العذاب ، فأجيب بخلاف مراده ، بذكر أوصاف هذا العذاب ، تنبيها على أن اللائق والاهم والأولى أن يعلمه ليحذره.	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التنبيه على اللائق والأهم

37	﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة: 96.	طلبوا العفو والصفح ، فتلقاهم بغير ما يترقبون ، وحمل كلامهم على غير ما يريدون ، وأمر بعدم الرضى عنهم لفسقهم وتعنتهم .	تلقي المخاطَب بغير ما يترقب	التعريض
38	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ النازعات: 42 – 46	السؤال يتطلب المعرفة بوقت حلول الساعة ، فأجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم ، بأنه وإن طال تأخر حصولها فإنها واقعة وأنهم يوم وقوعها كأنه ما لبثوا في انتظار إلا بعض يوم.	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التنبيه على اللائق والأهم
39	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ البقرة: 26، 27.	حمل استفهامهم على ظاهره تنبيها على أن اللائق بهم أن يسألوا عن حكمة ما أراد الله بتلك الأمثال ، فيكون قوله : ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ جوابا لهم وردا عليهم وبيانا لحال المؤمنين.	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التنبيه على اللائق والأهم
40	﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يس: 48، 49.	أعرض عن جواب سؤالهم لبيان أن ما أعد الله لهم من العذاب هو الأجدر واللائق بأن ينتظروه.	تلقي السائل بغير ما يتطلب	التهديد

قائمة المصادر والمراجع

- . القرآن الكريم برواية حفص .

1 – إحسان عباس : ملامح يونانية في الأدب العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1977م .

2 – أحمد أمين الشيرازي : البليغ في المعاني والبيان والبديع ، مؤسسة النشر الإسلامي ، إيران ، ط : 1 ، سنة:1422 هـ .

3 – أحمد حسن المراغي : علم البديع ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط :1، سنة : 1411 ـ 1991.

4 – أحمد عبد المطلب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت .

5 – أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: 1384هـ): من بلاغة القرآن ، نهضه مصر — القاهرة ، سنة : 2005م.

6 – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت : 852هـ) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، إخراج وتصحيح : محب الدين الخطيب ، تعليق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار المعرفة – بيروت، سنة : 1379هـ .

7 – أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، أبو الحسين (ت: 395هـ) : مقاييس اللغة ،.تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، سنة : 1399هـ – 1979م .

8 – أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله (ت : 241هـ) : المسند ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ، وآخرون ، إشراف : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1421 هـ – 2001 م .

9 – أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) : معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط : 1 ، سنة : 1429 هـ – 2008 م .

10 – أحمد ياسوف : جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي – دمشق، ط / 2 ، سنة : 1419 هـ – 1999م.

11 – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، أبو الفداء (ت : 774 هـ) : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط/ 2 ، سنة : 1420هـ ، 1999م .

12 – ابن أبي الأصبع المصري(ت: 654 هـ : بديع القرآن، تحقيق حفني محمد شرف ، نهضة مصر.

13 – إميل بديع يعقوب : معجم الإعراب والإملاء ، دار العلم للملايين ، بيروت .

14 – أكرم عبد خليفة حمد الدليمي : جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/1 ، سنة : 1427 هـ – 2006م .

15 – أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكوفي، أبو البقاء الحنفي (ت : 1094هـ) الكليات ، أعده للطبع : عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط : 2 ، سنة 1419هـ ، 1899م.

16 – تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري الملقب : ابن حجة الحموي (ت: 837هـ) : خزانة الأدب وغاية الأرب ، تحقيق : عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال-بيروت، سنة 2004 .

17 – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، السيوطي ، أبو الفضل (ت : 911هـ) : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة : 1394هـ/ 1974م.

18 – جلال الدين القزويني ، الملقب بخطيب دمشق (ت: 739هـ) الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل – بيروت، ط : 3 .

19 – جلال الدين القزويني ، الملقب بخطيب دمشق (ت: 739هـ) : التلخيص في علوم البلاغة ، ضبط وشرح : عبد الرحمن الرقوقي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط : 1 ، سنة : 1904 .

20 – الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي أبو على (ت: 463 هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط/5 ، 1401هـ – 1981م.

21 – الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، أبو هلال (ت: نحو 395هـ) : الأوائل ، دار البشير، طنطا ، ط : 1 ، سنة : 1408 هـ .

22 – الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، أبو هلال (ت : نحو 395هـ) : جمهرة الأمثال ، دار الفكر – بيروت .

23 – الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، أبو هلال (ت: نحو 395هـ) : الصناعتين: الكتابة والشعر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العنصرية – بيروت ، 1429هـ .

24 – خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ) : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط : 15 ، سنة 2002م .

25 – رفيق خليل عطوي : صناعة الكتابة (علم البيان ، علم المعاني ، علم البديع) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط : 1 ، سنة 1989 .

26 – زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري (ت : 1031هـ) : التوقيف على مهمات التعاريف ، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت–القاهرة ، ط : 1 سنة : 1410هـ–1990م.

27 – زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري (ت: 1031هـ) : فيض القدير شرح الجامع الصغير ،المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، ط : 1 ، سنة : 1356 هـ .

28 – زين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي الدين أبو عبد الله (ت: 666هـ) : مختار الصحاح ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط : 5، سنة : 1420هـ / 1999م .

29 – سعد مصلوح : الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط/3 ، سنة : 1423هـ ، 2002م .

30 – سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ، أبو داود (ت: 275هـ) ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

31 – سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ) : في ظلال القرآن ،دار الشروق . القاهرة ، ط/17 ، سنة : 1412 هـ ،.

32 – شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان أبو العباس: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر – بيروت .

33 – شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ، أبو عمر (المتوفى: 328هـ) : العقد الفريد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط / 1 ، سنة : 1404 هـ .

34 – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط / 1 ، سنة : 1415 هـ .

35 – صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن دار العلم للملايين، ط/24 ،كانون الثاني/ يناير 2000.

36 – ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: 637هـ) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

37 – ضياء الدين بن الأثير : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، تحقيق : مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي . العراق ، سنة : 1375 هـ .

38 – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة : 1394هـ/ 1974م .

39 – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) : لباب النقول في أسباب النزول ، ضبط وتصحح : أحمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

40 – عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (ت : 1425هـ) : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ،دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1416 هـ ، 1996م .

41 – عبد السلام أحمد الراغب ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب ، ط/1 ، سنة : 1422 هـ – 2001 م .

42 – عبد العزيز عتيق : علم المعاني والبيان والبديع ، دار النهضة العربية ، بيروت .

43 – عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت: 1429هـ) ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة ، ط / 1 ، سنة الطبع : 1413 هـ – 1992 م .

44 – عبد القادر حسين : فن البديع ، دار الشروق ، ط : 1 ، سنة : 1403 هـ ، 1983 م .

45 – عبد القادر عبد الجليل : الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، دار الصفاء ، عمان ، ط/1 ، سنة : 2002م .

46 – عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت: 471هـ) : دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط :1 ، سنة : 1422هـ – 2001 م .

47 – عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تحقيق : مروان محمد الشعار ، دار النفائس . بيروت ، سنة : 2005م .

48 – عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد (ت: 276هـ) : أدب الكاتب ، تحقيق : محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

49 – عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد ، (ت: 276هـ) : عيون الأخبار ،دار الكتب العلمية –بيروت ، سنة : 1418هـ .

50 – عبد المتعال الصعيدي (ت: 1391هـ) ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، ط / 17 ، سنة النشر: 1426هـ-2005م.

51 – علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ، أبو الحسن (ت : 468هـ) : أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/ 1 ، سنة : 1411هـ.

52 – علي الجارم و مصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، دار المعارف، القاهرة ، سنة : 1999 م .

53 – علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال أبو الحسن (ت: 449هـ) : شرح صحيح البخاري ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط: 2 ، سنة : 1423هـ – 2003م .

54 – علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت: 837هـ) : خزانة الأدب وغاية الأرب ، : تحقيق : عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ط : 1 ، سنة 1987 .

55 – علي بن محمد بن العباس (ت: نحو 400هـ) ، أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، تحقيق : وداد القاضي ، دار صادر – بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1408 هـ ، 1988م .

56 – علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) : التعريفات ، تحقيق : جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1403هـ –1983م .

57 – على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت: 685هـ) : المقتطف من أزاهر الطرف ، شركة أمل، القاهرة ، سنة : 1425 هـ .

58 – عمر بن على ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، أبو حفص (ت : 880 هـ) : اللباب في علوم الكتاب ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت ، سنة : 1419 هـ -1998 م .

59 – عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ ، أبو عثمان (ت: 255هـ) : البيان والتبيين ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، سنة : 1423 هـ .

60 – عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ ، أبو عثمان (ت: 255هـ) : المحاسن والأضداد ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، سنة : 1423هـ .

61 – القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: 224هـ) : الأمثال ، تحقيق : عبد المجيد قطامش ، دار المأمون للتراث ، ط : 1، سنة : 1400 هـ – 1980 م .

62 – القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق 12هـ) : جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، عرب عباراته الفارسية : حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1421هـ – 2000م .

63 – مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي : الموطأ (رواية محمد بن الحسن) ، تحقيق : تقي الدين الندوي ، دار القلم – دمشق ، ط / 1 ، سنة : 1413 هـ – 1991م .

64 – مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ) : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، سنة : 1399هـ – 1979م .

65 – مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ، محمد بن علي الصامل ، مقال : "الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية" العدد 15 ، شعبان 1416هـ .

66 – مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين: الموسوعة القرآنية المتخصصة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ، سنة : 1423 هـ – 2002 م .

67 – محمد بن أحمد الأزهري أبو منصور (ت: 370هـ) : تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط : 1 .

68 – محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء (ت: 325هـ) ، الظرف والظرفاء ، تحقيق: كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر – مطبعة الاعتماد ، ط / 2 ، السنة : 1371 هـ – 1953 م .

69 – محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت : 256 هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، (صحيح البخاري) ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، وتعليق : مصطفى ديب البغا ، دار طوق النجاة ، بيروت ، ط: 1، سنة : 1422هـ .

70 – محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (ت: 1353هـ) ، العرف الشذي شرح سنن الترمذي، تصحيح : محمود شاكر ، دار التراث العربي –بيروت ، ط: 1، سنة : 1425 هـ – 2004م.

71 – محمد بركات حمدي أبو علي : البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ، دار وائل للنشر ، عمان ، ط/1 ، سنة 2003م .

72 – محمد بكر إسماعيل : (ت: 1426هـ) دراسات في علوم القرآن دار المنار ، ط: 2 ، 1419هـ–1999م.

73 – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت – 310 هـ) : جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار النشر : مؤسسة الرسالة ، ط / 1 ، سنة : 1420 هـ – 2000 م .

74 – محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت: 562هـ) : التذكرة الحمدونية ، دار صادر، بيروت ، ط / 1 ، سنة : 1417 هـ .

75 – محمد رشيد بن علي رضا (ت: 1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة : 1990م .

76 – محمد الطاهر بن الطاهر بن عاشور (ت : 1393هـ) : التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة: 1984هـ .

77 – محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: 1367هـ) : مناهل العرفان في علوم القرآن ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، سوريا ، ط/3 .

78 – محمد بن عبد الله دراز (ت : 1377هـ) : النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية ، تقديم : عبد العظيم إبراهيم المطعني ، دار القلم للنشر والتوزيع ، سنة الطبع : 1426هـ– 2005م .

79 – محمد عبد الله جبر : الأسلوب والنحو ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ظ : 1 ، سنة : 1409هـ ، 1988م.

80 – محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت: 1138هـ) كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه ، وتسمى أيضا : حاشية السندي على سنن ابن ماجه ، دار الجيل – بيروت.

81 – محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، ط/1 ، سنة : 1417هـ - 1997م .

82 – محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، أبو عبد الله : مفاتيح الغيب من القرآن ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

83 – محمد العبد : المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة ، دار الفكر العربي ، ط/1 ، سنة : 1415هـ ، 1994م.

84 – محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ): الجامع الكبير (سنن الترمذي) ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ، محمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) ، وإبراهيم عطوة عوض (جـ 4، 5) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط : 2 ، سنة : 1395 هـ - 1975م .

85 – محمد بن أبي القاسم السجلماسي : المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق : علاّل الغازي، مكتبة المعارف : الرباط ، سنة : 1980م .

86 – محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي (ت: 1205هـ) : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية .

87 – محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري (ت: 711هـ) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط : 3 ، سنة : 1414 هـ .

88 – محمد أبو موسى: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، مكتبة وهبة ، ط : 7 .

89 – محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي أبو عبد الله (ت: 671هـ) : الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/2 ، 1384هـ - 1964 م .

90 – محمد نديم فاضل : التضمين النحوي في القرآن الكريم ، دار الزمان، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية ، ط/1 ، سنة : 1426 هـ – 2005 م.

91 – محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله أبو القاسم (ت : 538هـ) : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط/3 ، سنة : 1407هـ .

92 – محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ) أبو زكريا : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط : 2 ، سنة : 1392 هـ .

93 – مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): المسند الصحيح (صحيح مسلم) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

94 – المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني (ت: 390هـ) ، أبو الفرج : الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ، تحقيق : عبد الكريم سامي الجندي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط / 1 ، سنة : 1426 هـ – 2005 م .

95 – موسى ربابعة : جماليات الأسلوب والتلقي ، دار جرير ، عمان ، ط/1 ، سنة : 1429هـ ، 2008م .

96 – نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: 573هـ) : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق : حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني ، ويوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1420 هـ – 1999 م .

97 – نظام الدين الحسن النيسابوري : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/1 ، سنة : 1416هـ – 1996م .

98 – وهبة بن مصطفى الزحيلي : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ط/2 ، 1418 هـ .

99 – وهبة بن مصطفى الزحيلي : التفسير الوسيط ، دار الفكر – دمشق ، ط/1 ، 1422 هـ .

100 – يحيى بن حمزة العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه (ت: 745هـ) : الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، المكتبة العنصرية – بيروت ، ط : 1 ، سنة : 1423هـ.

101 – يوسف بن أبي بكر السكاكي ، أبو يعقوب (ت : 626هـ) : مفتاح العلوم ، ضبط وتعليق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط : 2 ، 1407 هـ - 1987 م .

الفهرس

الفصل الثاني : الأسلوب الحكيم في القرآن

❋❋❋❋❋

الملخص

رسالتي هذه تتحدث عن أسلوب الحكيم في القرآن الكريم، الذي يعد من ضروب البلاغة العربية ضمن المحسنات المعنوية في علم البديع، وقد أشار له الجاحظ وقعد له السكاكي، وهو على نوعين، أولهما تلقي المخاطَب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده، وثانيهما تلقي السائل بغير ما يتطلب بالعدول عن الجواب، تنبيها لهما على الأهم والأولى بهما، أو قصد غرض آخر يريده المخاطِب، وله أغرض عديدة منها التنبيه على اللائق والأهم، والتأدب، والتظرف، والدعابة؛ والصرف، والإبطال، والتهديد، والإنكار، والتهكم، ولكل منها هدف معين، ولها قيمتها البلاغية، كما له ظواهر أسلوبية مختلفة لها قيمتها ومنها، الاختيار، والانزياح والتكرار، والمفارقة.

Résumé en français

Cette lettre parle de style sage dans le Coran, qui est l'un des traitements cruels rhétorique arabe au sein du moral des Enhanced dans la science de Budaiya , a indiqué son thon obèse et le siège Alskaki , qui sont de deux types , le premier à recevoir le destinataire, sans ce qui attend porter ses termes, contrairement à sa manière, et la seconde pour recevoir le liquide sans nécessiter de revenir sur sa réponse, attirer leur attention sur le plus important et le premier avec eux, ou accidentellement d'autres fins veut destinataire , à des fins de nombre de l'alarme sur le décent et, surtout , la politesse, et Altzerv , et l'humour , le drainage et l'évitement et la menace , et le déni , le cynisme , et chacun a un objectif précis , et a une valeur rhétorique, car il a un style différents phénomènes , dont la valeur , la sélection et le déplacement et la répétition, et l'ironie.